**لذا قدَّمتُ لها وبذلت**

**وتعبتُ وضحيت**

**وصبرتُ وعانيت**

**وخِفْتُ ورجوت**

**حتى فزتُ في النهاية بما تمنيت**

**لم أغفل يوما عن الساعة، فالعمر ينقضي ساعة فساعة**

**لذا ربحت أشرف تجارة وأغلى بضاعة**

**ووجدتُ ما وعد ربي حقا.**

**دون أن أكون لهذا النعيم العظيم مستحقا.**

**فالحمد لله رب العالمين**

## هذه ليست حياة!

## إنما الحياة بعد الموت

ما أشد بؤس حياة من لم يعِش
الآخرة بقلبه!
فالخوف عيشه
والقلق حياته
والموت كابوسه
متعته منغَّصة
وفرحته منقوصة!
وتتضاعف حسرته إن عاش في الدنيا
مظلوما أو محروما
لأنه لا رجاء له في ثواب
ولا تسلية عنده بروعة جزاء.
والحياة عنده أول المطاف وآخره.
ونعيمها هو النعيم حقا
إن فاته منه شيء فهو البؤس أبدا
في النهار أسير معاش
وبالليل طريح فِراش
وفي الآخرة تحرقه النار كأنه فَراش

إيمانه بالآخرة فتح له آفاق عوالم
أخرى
لم يدركها أصحاب العقول القاصرة
والنظرة السطحية الظاهرة
(يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم
عن الآخرة هم غافلون).
الموت عنده ليس إلا جسر..
ما ينتظره بعده أعظم بكثير مما قبله
لذا تضاءلت عنده شدائد الدنيا
ومآسيها ..
وتجلت له حكمة الخلق والحياة بما
فيها..
فاطمأن قلبه وابتسمت روحه
بعد أن أيقنَ بيوم ..
يوفَّى فيه المظلوم حقه
والمحروم أجره
والظالم جزاءه!

**وفارق هائل ..**

**بين من عاش منتظرا وعد الآخرة موقِنا بلقائها..**

**ومن فوجئ بما يلقاه منها قد صُعِق بأهوالها!**

**شتان بين من يقول في الغد متحسِّرا:**

**يا ليتني قدمت لحياتي.**

**ومن يقولها مسرورا متنعِّما:**

**قدَّمتُ لحياتي**

## قبل الانطلاق: عشر حقائق كاشفة

بين يديك حقائق لازمة لحسن التعامل مع أمر الجنة و النار، وإبصار القلب لما ينتظر العبد غدا من ثواب أو عقاب في دار القرار.

- **الحقيقة الأولى: خطاب يناسب العقول والأفهام**

خاطبنا الله في كتابه بما يناسب عقولنا، فكل ما خطر ببالك، فالجنة أعلى من ذلك، لذا كان أبلغ ما جاء في وصف الجنة قول الله تعالى:

«أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾». صحيح: رواه البخاري عن أبي هريرة كما في صحيح البخاري رقم: 3244

فالله حين عرض لنا عذاب الآخرة أو نعيمها لم يعرض حقيقة هذا العذاب أو النعيم، إنما عرض لنا ما نستطيع فهمه حسب حدود عقولنا ولغتنا، فإذا كانت المعاني لا تطيقها الأذهان كما أخبر بذلك الحديث: «**ولا خطر على قلب بشر**»، فلا يمكن أن يوجد في هذه المعاني ألفاظ تعبِّر عنها لغات البشر؟!

لذا كان السبيل الأمثل إلى وصف ما غاب عنا من نعيم الجنة وعذاب النار ضرب الأمثال وصيغ التشبيه لتقريب الصورة التي لا يستطيع الخيال لها تصويرا، ولا يملك اللسان عنها تعبيرا.

- **الحقيقة الثانية:** لن نعرف حقيقة النعيم أو الجحيم حتى نعاينهما!

قال أبوحامد الغزالي: «الإنسان لا يمكن أن يعرف حقيقة الشيء وتصوره حتى يدركه بنفسه، وإذا لم يدركه ووصف له يجري مجرى صبيّ توصف له لذة الجماع فلا يمكن أن يتصور حقيقته حتى يبلغ فيباشره بنفسه، وكالأكمه توصف له المرأة.

وحالنا في اللذة الأُخروية هكذا، فإننا لا نتصورها على الحقيقة إلا إذا طالعناها، فإذا طالعناها شغلنا الفرح والتلذذ بها عما سواها؛ كما قال ربنا: (أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) ».

- **الحقيقة الثالثة:** الاستدلال بالقليل على الكثير!

قال ابن كثير كلاماً لطيفاً دلَّل فيه على عظيم نعيم الجنة، وذلك حين تحدَّث عن ثمار الجنة، إذ استنتج أن الله نبَّه بالقليل على الكثير، وبالهين على العظيم، عندما ذكر السدر والطلح، فقال:

«وإذا كان السدر الذي في الدنيا لا يثمر إلا ثمرة ضعيفة وهو النبق، وشوكه كثير، والطلح الذي لا يراد منه في الدنيا إلا الظل، يكونان في الجنة في غاية من كثرة الثمار وحسنها، حتى إن الثمرة الواحدة منها تتفتق عن سبعين نوعاً من الطعوم، والألوان، التي يشبه بعضها بعضاً، فما ظنك بثمار الأشجار، التي تكون في الدنيا حسنة الثمار، كالتفاح، والنخل، والعنب، وغير ذلك؟ وما ظنك بأنواع الرياحين، والأزاهير؟».

مما جعل ابن عباس يقول:

«ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء». صحيح الجامع رقم: 5410

الأسماء واحدة هنا، هنا زوجة وهناك زوجة، هنا نهر وهناك نهر، هنا فاكهة وهناك فاكهة، لكن الحقائق مختلفة تمام الاختلاف.

ويشهد لهذا حديث صلاة الخسوف حين قال الصحابة: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئا في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت (تأخَّرتَ)، فقال ﷺ:

«إني أُريتُ الجنة، فتناولت منها عنقودا، ولو أخذتُه لأكلتم منه ما بقيت الدنيا».

صحيح البخاري رقم: 748 عن ابن عباس

والأكل من هذا العنقود مدة بقاء الدنيا، بأن يخلق الله مكان كل حبة تُقطَف حبة أخرى، أو بصورة أخرى لا يعلمها إلا الله.

ومعنى الحديث: لو أذن الله لي بقطف هذا العنقود لأخرجته إليكم، ولكن لم يُقدِّر الله ذلك لأنه من طعام الجنة، وطعام الجنة لا يفنى، والدنيا فانية، ويلزم من أكل ما لا يفنى ألا يفنى من أكله، وهذا محال في الدنيا.

وقيل: لأنه لو رآى الناس هذا العنقود لكان إيمانهم بالشهادة لا بالغيب، فلا يتميز المؤمن من غير المؤمن، ولا أهل الشقاوة من أهل السعادة، وقد شاء الله أن تكون أمور الآخرة غيبا، وجعل هذا مناط اختبار العباد.

وقيل: لأن الجنة دار جزاء الأعمال، والجزاء لا يقع إلا في الآخرة.

وقيل: لأنه لا يصلح أن يؤكل طعام الجنة في الدنيا، لأن أكل في الدنيا يعود رجيعا وفضلات، وأما أكل الجنة فيخرج على هيئة رشح المسك، فلا يبول أهل الجنة ولا يَتَغَوَّطون.

- **الحقيقة الرابعة: طريق الجنة عسير وطريق النار يسير:**

الجنة عالية، والصعود للعلياء يحتاج جهدا كبيرا، لذا فطريق الجنة شاق، بينما النار سفلى، والتَّسفُّل سهل يسير، لا يحتاج جهدا.

قال رسول الله ﷺ: «حُجِبَت النار بالشهوات، وحُجِبَت الجنة بالمكاره». صحيح: رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رقم: 6487

وفي صحيح مسلم بلفظ:

«حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات». صحيح: رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رقم: 2822

# صورة: لا لذة بغير ألم ولا جنة بغير تعب

وفي الحديث حضٌّ بديع على طاعة الله، وإن كرهتها النفوس وشقَّت؛ لأن مكابدة النار أشق، فجاء الخطاب النبوي بلفظ الخبر، وقصَد به الأمر والنهي.

وحجْب الجنة بالمكاره معناه ألا وصول إلى الجنة إلا باقتحام المكاره، أي ما تكرهه النفوس مما كُلِّفَت به من الواجبات، كالعبادة وكظم الغيظ والصبر والرضا واجتناب ما نهى الله عنه، وأطلق عليها المكاره لمشقتها على النفس، وفي الحديث: «وإسباغ الوضوء على المكاره»، أي الوضوء في شدة البرد، لأنه شاق على النفس، فلا يدخل الجنة إلا من تحمل مشقة خرق هذا الحجاب، وإلا لم يدخل الجنة.

ومتعاطي المكاره مؤمن نافذ البصيرة، رأى ما وراء حجاب المكاره من نعيم وجنات، لذا تحمل المشاق وخاض الصعاب حتى وصل إلى مبتغاه، ولولا المكاره لفاز بالجنة كل أحد، وما تأخر عن هذا النعيم أحد.

قال رسول الله ﷺ:

«**لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فحفَّها بالمكاره، فقال: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد**». صحيح: رواه أحمد والنسائي والترمذي وأبو داود عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: 5210

وبالله .. ألم الصبر عن الشهوات اليوم، أم ألم مقاساة النار في الدركات غدا؟!

ومن لم يُطِق ألم المجاهدة اليوم، فكيف يطيق عذاب النار غدا؟!

وأما حجْب النار بالشهوات، فمعناه أنه لا يوصَل إلى النار إلا بتعاطي الشهوات المحرَّمة، إذ هي محجوبة بها، فمن هتك حجاب الشهوات وصل إلى المحجوب وهو النار، ومن تجنَّبَه اتقى النار، والشهوات المحرمة كالخمر والزنا وأكل الحرام، وكل ما حرَّم الله وتشتهيه النفس.

ومتعاطي الشهوات المحرَّمة عن طريق الحرام كالأعمى الذي سلب حب الشهوات سمعه وبصره، فهو غارق حتى أذنيه في شهواته، لا يرى النار التي خلفها، كغفلة الطائر حين يرى حبة الطعام، ولا يرى الفخ الذي وراءها، لغلبة شهوة الحبة على قلبه، ولولا حب الشهوات لكان اتقاء النار أسهل ما يكون، ولنجا من النار كل أحد.

إن أمر الشهوات خطير خطير، وكفيل بأن يحدث انقلابا في قلب أي عبد، فيحرفه عن المسار، وينقله من دائرة الأبرار إلى دائرة الفجار، فيدخل النار، ولقد صدق الإمام أبو بكر ابن أبي شيبة حين وصف الشهوة فقال: «الشهوة أمرها خطير، وشرُّها جسيم، فكم من عابدٍ لله حوَّلتْه الشهوة إلى فاسق، وكم من عالم حوَّلته إلى جاهل، وكم أخرجت أناسا من الدين كانوا في نظر من يعرفهم أبعد الناس عن الضلال والانحراف».

وجاء في تتمة الحديث السابق في كلام مخيف، تخشع له القلوب وتخضع:

**«فلما خلق الله النار قال: يا جبريل! اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: وعزتك .. لا يسمع بها أحد، فيدخلها، فحفَّها بالشهوات، ثم قال: يا جبريل .. اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فقال: أي رب وعزتك، لقد خشيتُ أن لا يبقى أحد إلا دخلها».**

- **الحقيقة الخامسة: الجنة والنار عمودا التربية الإيمانية**

ولذا أكثر القرآن من ذكرهما، والتعرض لأحوالهما، ليستحث المؤمنين على إجالة الفكر فيهما، والعمل الدؤوب لاتقاء للنار وسعيا وراء الجنة.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تكشف منهج التربية القرآنية الأولى فتقول:

«إنما نزل أول ما نزل منه (القرآن) سورة من المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا». صحيح: رواه البخاري عن يوسف بن ماهك رقم: 4609

وسُمِّي المفصَّل لقِصَر سوره، وقرب انفصالهن بعضهن من بعض، واختلفوا في أوله، فقال بعضهم: هو سورة ق، وبعضهم: سورة محمد، ويكثر في المفصَّل ذكر الجنة والنار.

وقد لاحظ علماء الإلهيات أن القرآن أكثر من ذكر اليوم الآخر بما لايوجد مثله في الكتب السماوية الأخرى، كما يقول أبو العباس ابن تيمية:

«وفي القرآن من ذكر المعاد وتفصيله، وصفة الجنة والنار، والنعيم والعذاب؛ ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل».

ولعل السبب في هذا: التنبيه على أن ذكر الآخرة من أهم أسباب صلاح الأمة وسر تفوقها.

- **الحقيقة السادسة: الخافضة الرافعة**

قال الله تعالى عن الواقعة أو القيامة:

{خافضة رافعة} [الواقعة: 3].

لكن تخفض من؟! وترفع من؟!

أجاب محمد بن كعب القرظي عن هذا السؤال، فقال:

«تخفض رجالا كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع رجالا كانوا في الدنيا مخفوضين».

وهو خفض ورفع ليس كأي خفض أو رفع، فمن انخفض يوم القيامة لم يرتفع أبدا، ومن ارتفع يومها لم ينخفض أبدا.

وربما خفضت القيامة من لا يتوقع الناس انخفاضهم في الآخرة، ممن هم اليوم ملء السمع والبصر، وحازوا صنوف الأموال وقوة السلطان، فخفضتهم في عذاب النار، وربما رفعت من لا يتوقع أحد ارتفاعه من المغمورين الذين لا يأبه بهم أحد، بأن ترفع درجاته في الجنة.

ومن لطيف ما جاء في صحيح البخاري:

«**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثِرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقَطهم**». صحيح: رواه البخاري عن أبي هريرة كما في صحيح البخاري رقم: 4850

وسقَطهم: أي المحتقرون بين الناس، الساقطون من أعينهم، فهذا بالنسبة لأكثر الناس، أما ~~بالنسبة~~ لما عند الله، فهم عظماء، رفعاء الدرجات، كما قال ابن حجر.

وقيل: سُمّوا سقَطًا؛ لأنهم لا يُكرَّمون بتصدر المجالس، ولا يُفتَقدون إذا غابوا، ولا يُعرَفون إذا حضروا، لكنهم عند الله من المرموقين المكرَّمين.

وهذا الخفض والرفع الإلهي دائر بين دائرتي العدل والفضل. قال عطاء:

«خفضت قوما بالعدل، ورفعت قوما بالفضل».

وهذه إشارة مهمة مهمة، إلى أن الدنيا ليست دار جزاء، وأن الجزاء النهائي إنما يكون يوم القيامة، فلا ييأس المؤمنون اليوم لما وقع عليهم من ظلم وضيم، ولا يغتر الظالمون بما وصلوا إليه من علو وبغي، فإن القيامة ستعكس الأحوال، وتقلب الموازين. قال السُّدِّي:

«خفضَت المتكبِّرين، ورفعت المستضعفين».

وهذا قانون يغفل عنه الكثيرون، فيغترون بنعيم الدنيا ويعتدون، وفي الآخرة يخسرون، ومن بنود هذا القانون نصٌّ نوراني بارز سطَّره عمر بن الخطاب ﷺ حين قال:

«عزُّ الدنيا بالمال، وعزُّ الآخرة بالأعمال».

وآية {خافضة رافعة}:

تثبيت لقلوب لصالحين ليستزيدوا من العمل الصالح، ولا يبالوا بما أصابهم من الأذى في سبيل الله، ولا يضعفوا ولا يستكينوا لما أصابهم ما أرضوا ربهم، ما داموا سيرتفعون في النهاية.

وهي كذلك تنبيه للمؤمنين كذلك بألا يحقر أحدهم مسلما، فإنه لا يدري مقامه عند الله. قال رسول الله ﷺ:

«من أمتي من لو جاء أحدكم يسأله دينارا لم يعطه، ولو سأله درهما لم يعطه، ولو سأله فلسا لم يعطه، ولو سأل الله الجنة لأعطاها إياه! ذو طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرَّه». السلسلة الصحيحة رقم: 2643

والآية إنذار شديد للظالمين من سوء مصيرهم، إذا استمروا في عدوانهم، فلا يغتروا بثناء الحاشية عليهم، فيخافوا من الانخفاض الهائل الذي ينتظرهم يوم القيامة.

## الحقيقة السابعة: فقراء وأغنياء على أبواب الجنة

جاء ثلاثة نفر إلى عبد الله بن عمرو ﷺ، فقالوا: يا أبا محمد! إنا والله ما نقدر على شيء، لا نفقة ولا دابة ولا متاع، فقال لهم: ما شئتم، إن شئتم رجعتم إلينا، فأعطيناكم ما يسَّر الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان، وإن شئتم صبرتم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا».

قالوا: فإنا نصبر، لا نسأل شيئا. صحيح: صحيح مسلم رقم: 37

وفي الجامع الصغير:

«فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام».

صحيح: رواه الترمذي عن أبي سعيد كما في صحيح الجامع رقم: 4228

وعن سبب هذا الاختلاف في الحديثين بين أربعين وخمسمائة عام قال القرطبي:

«اختلاف هذه الأخبار يدل على أن الفقراء مختلفون في الحال وكذا الأغنياء، والجمع بينهما أن سُبَّاق الفقراء من المهاجرين يسبقون سُبَّاق الأغنياء منهم بأربعين خريفا، وغير سُبَّاق الأغنياء بخمس مئة عام».

ومعنى هذا أن الفقراء متفاوتون في قوة إيمانهم وفضلهم، وكذلك الأغنياء، فإذا كان الحساب باعتبار أول الفقراء دخولاً الجنة وأول الأغنياء دخولا الجنة، تكون المدة بينهما أربعين خريفا، وأما إذا كان الحساب باعتبار أول الفقراء دخولا الجنة وآخر الأغنياء دخولاً الجنة، فتكون المدة بينهما خمسمائة عام.

وقد ورد في صحيح البخاري حبس وتأخر الأغنياء عن دخول الجنة حتى يحاسبوا، فعن أسامة بن زيد ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«قمتُ على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجَدُّ محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار». صحيح: صحيح البخاري رقم: 5196

وأصحاب الجد هم أغنياء المسلمين، فهؤلاء موقوفون حتى يُحاسَبوا على أموالهم، من أين وإلى أين، وبعد الحساب يدخل الصالحون منهم الجنة، وربما كانت درجتهم فيها أعلى من درجات الفقراء بحسب أعمالهم.

## الغني الشاكر أم الفقير الصابر؟!

قال القرطبي:

«في هذه المسألة خمسة أقوال:

- فمن قائلٍ بتفضيل الغني.
- ومن قائلٍ بتفضيل الفقير.
- ومن قائلٍ بتفضيل الكفاف.
- ومن قائلٍ برد هذا إلى اعتبار أحوال الناس في ذلك.
- ومن قائلٍ بالتوقف، لأنها مسألة لها غور، وفيها أحاديث متعارضة».

وتحرير النزاع في هذه المسألة:

أن الأصل عند المقارنة بين حالين أن نفترض المساواة التامة بين المقارَنَيْن في كل شيء حتى في النية ودرجة الإخلاص، فلا يبقى ما يُفرِّق بينهما إلا صبر الفقير على حاله، وشكر الغني على ماله، وإلا فإن الفقير الصابر أفضل من الغني غير الشاكر، والغني الشاكر أفضل من الفقير غير الصابر.

فماذا إذا استويا في كل شيء، وهو موضع السؤال؟!

حينئذ يوزن الصبر والشكر لا الغنى والفقر، فمن كان شكره أو صبره أعظم، كان هو الأفضل والمُقدَّم، ومن هنا قال ابن تيمية: «إذا استويا في التقوى، فهما في الفضل سواء».

وبذا يتضح أن المال ليس محذورا لنفسه، بل لكونه يعوق صاحبه عن طريق الله، ومثله الفقر، فكم من غني لم يشغله غناه عن الله، وهذا قد سبق الفقير الذي شغله فقره عن ربه.

وأما إن أخذت بالأعَمِّ الغالب، فالفقير أبعد عن الخطر من الغني لأن فتنة الغنى أشد، والناجون من أهل الغنى ومن يؤدون حق المال أقل، إذ لا يكاد يسلم من آفات المال إلا القليل ممن عصم الله؛ لأن الشيطان يسوِّل للغني:

- الأخذ من المال بغير حقه.
- زيادة ماله بغير حقه.
- منع المال من حقه.
- التجبر والطغيان والتكبر بسبب المال.
- قلة الشكر عليه.
- منافسة غيره في تكثيره بتحصيله من غير حِلِّه.

ولذا قال ابن تيمية:

«والفقر يصلح عليه خَلْق كثير، والغنى لا يصلح عليه إلا الأقل منهم، ولهذا كان أكثر من يدخل الجنة المساكين؛ لأن فتنة الفقر أهون».

أما إذا شكَر الغنيُّ نعمة المال، وتعدَّى نفعُه غيرَه بإخراج الزكاة والصدقات، فعلى هذا النحو يكون أفضل من الفقير الصابر؛ لأن الفقير الصابر خيره ونفعه لم يتعد إلى غيره، وأما الغني الشاكر فخيره متعَدٍّ إلى الغير.

## الحقيقة الثامنة: الحلقة المفقودة والترس الضائع!

لماذا هذا الفصام النكد عند كثير من المسلمين بين الإيمان والسلوك؟

بين العبادات والمعاملات؟

بين حال العبد داخل المسجد وخارج حدوده؟

لماذا يرتشي المصلي؟ ويسرق الحاج؟ ويطلق بصره قارئ القرآن؟ ويغتاب الذاكر؟! ويعتدي على الحرمات الصائم؟!

إن أخبار الجنة والنار ما هي ليست إلا دعوة صريحة للعمل الذي يأخذ بأيدينا للجنة، ونهي صارخ عن العمل الذي يسوقنا إلى النار، فما بالنا لم نأخذ من التشويق إلا الإعجاب، ومن الترهيب إلا التأثر اللحظي دون التغيير العملي! أليس هذا من أعجب العجاب؟!

أليس هذا ترسا مفقودا في آلة الإنسان، تمنعه من القيام بدوره الذي أراده الله له كخليفة له في الأرض.

إن الإيمان ليس بالتمني، ليس الإيمان بالتمني، ولا عشق الجنة بالتغني!

ولذا قال يحيى بن معاذ:

«**من** أحب الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف النار انصرف عن السيئات».

وقد كان وجود النبي ﷺ ضرورة بين الصحابة ليقوم بهذا الدور الإيماني نظريا بأقواله، وعمليا بمواقفه الحياتية اليومية.

فأما أقواله، فمنها قوله ﷺ:

«**إنَّه ليس شيءٌ يقرِّبكم إلى الجنَّة إلا قد أمرتُكم به، وليس شيءٌ يقرِّبكم إلى النَّار إلا قد نهيتُكم عنه**».

حسن: السلسلة الصحيحة رقم: 2866

وأما مواقفه الحياتية التي ربط فيها النبي ﷺ واقع الصحابة بالآخرة بالجنة، فأكثر من أن تُحصَى، وإليكم منها خمسة مواقف:

**الموقف الأول: العبادة ضائعة مع سوء الخلُق**

إن العبادة التي لا تُهذِّب سلوكا عبادة منقوصة، ولن تكون طوق نجاة غدا لصاحبها، بل ستكون حجة عليه، والدليل هذا الحديث:

قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله .. إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها؟

فقال: رسول الله ﷺ: «لا خير فيها هى من أهل النار».

وفلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأثوار، ولا تؤذي أحدا؟

فقال رسول الله ﷺ: «هى من أهل الجنة».

حسن: رواه البخاري في الأدب المفرد رقم: 119 وأحمد في المسند رقم: 9673 كما في السلسلة الصحيحة رقم: 190

والأثوار: جمع ثور ، وهو القطعة من الأقِط، وهو الجبن المجفف الذي يتخذ من مخيض لبن الغنم.

**الموقف الثاني: المصلي السارق**

عن **أبي هريرة** ﷺ:

فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ونزلنا بها أصيلاً مع مغرب الشمس، ومع رسول الله غلام له أهداه له رفاعة بن زيد، فوالله إنه ليضع رحل رسول الله إذ أتاه سهم غرب (طائش) فأصابه فقتله. فقلنا: هنيئًا له الجنة. قال: «**كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارًا**»[1].

هذا خادم رسول الله ﷺ، والمعايِش له ليلا ونهارا، والمتبرِّك بصحبته صباح مساء، ومع هذا أودت به معصية واحدة إلى عذاب النار، وليست سوى شملة من غنيمة لا يؤبه لها، فلم تشفع له صحبته، ولم تدفع عنه إقامته مع رسول الله ﷺ وخدمته، وقد شهد الصحابة جميعا بأعينهم هذا الموقف الرهيب، ورأوا هذه الخاتمة السيئة، في مشهد رهيب تقشعر منه الأبدان، وترتجف له القلوب، فلا تتجرأ بعدها على تناول لقمة حرام، وإلا فالنار تنتظر وتستعر وتلتهم، كما التهمت هذا الغلام.

لقد شهِد هذه الواقعة رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: أصبت شراكين لنعلين لي (أي: من الغنائم)، فقال له النبي ﷺ: «**يُقدُّ (يُقطَع) لك مثلهما في النار**».

وكلَّف الرسول ﷺ أحد أصحابه بتقسيم الغنائم، فلقي من الحر الشديد ما جعله يعصب رأسه بعصابة من الغنائم يتقي بها الشمس، فقال النبي ﷺ له: «**عصابة من النار عصبت بها رأسك**».

وتوفي رجل من أشجع فلم يصلِّ عليه، فلما سئل في ذلك قال: «**إن صاحبكم غلَّ في سبيل الله**»، ففتَّشوه فوُجِد في متاعه خرز لا يساوي درهمين.

أرأيتم ارتباطا بين الدنيا والآخرة خيرا من هذا ~~كهذا~~؟!

أخبروني بعدها..

هل هناك جهاز رقابة بشري قادر على القيام بدور هذه الرقابة الذاتية والحصانة الإيمانية؟!

(1) رواه الشيخان والنسائي وأبو داود عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (6942).

وتعلَّم تلامذة مدرسة الإيمان الدرس، فكانت من عادة نساء السلف إذا خرج الرجل من منزله، أن تقول له امرأته أو ابنته: إياك وكسب الحرام، فإنا نصبر على الجوع والضر، ولا نصبر على النار.

ودخل عمر بن عبد العزيز مرة على امرأته، فسألها أن تقرضه درهما أو فلوسا يشتري بها عنبا، فلم يجد عندها شيئا، فقالت له: أنت أمير المؤمنين، وليس في خزانتك ما تشتري به عنبا! فقال:

هذا أيسر من معالجة الأغلال والانكال غدا في جهنم!

**الموقف الثالث: التاجر السارق**

عن رفاعة بن رافع الزرقي ﷺ قال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى المصلى، فرأى الناس يتبايعون، فقال: يا معشر التجار! فاستجابوا لرسول الله ﷺ، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال:

«إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا، إلا من اتقى الله وبرَّ وصدق».

صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة كما في السلسلة الصحيحة: 994 و1458وصحيح الترغيب والترهيب رقم: 1785

## صورة: التجار يبعثون غدا فجارا

وفي رواية قال: «إن التجار هم الفجار »، فقالوا: يا رسول الله .. أو ليس قد أحل الله البيع؟

قال: «بلى، ولكنهم يحدِّثون فيكذبون، ويحلفون فيأثمون».

رواه أحمد كما في صحيح الجامع: 1594 والصحيحة: 366

لاحظ كيف أطلق النبي ﷺ هذه العبارة الصادمة والصرخة الموقظة:

«التجار هم الفجار».

وقطع النبي ﷺ بهذه الكلمة على أهل السوق ما انشغلوا به من دنياهم، وانتشل به أبناء الدنيا من استغراقهم في غفلتهم.

والهدف:

التنبيه على خطورة التقصير في هذا المجال، خاصة حين يتعلق الأمر بالأموال، وإعلامهم بأن هذا حال أكثر التجار: يكذبون لترويج سلعهم، فيقسم أحدهم أن سلعته أجود السلع، أو أنه اشتراها بكذا وكذا من الأثمان

الباهظة، وهو كاذب في دعواه، فلما التفت أهل السوق إلى رسول الله ﷺ، استثني استثنى من فجار التجار المتقين الصادقين الأبرار.

ترى ما حال كل تاجر بعد سماع هذا الإنذار؟

كيف صدقه وأمانته وحرصه على دينه خوفا من النار؟!

ألا قد أعذر من أنذر، فخذوا حذركم يا معشر الأبرار.

**الموقف الرابع: الغشاش:**

ذهب النبي ﷺ يوما بنفسه إلى السوق، ليتفقد أحوال البيع والشراء، فمرَّ ببائع أمامه صُبْرَة طعام، والصُبْرة: الكومة المجموعة من الطعام بلا كيل أو وزن، وإذا أطلق أهل الحجاز لفظ الطعام، عنوا به البُرَّ خاصة، والبُرُّ: حبُّ القمح.

وخوفا من أن يكون الرجل وضع الحب الرديء أسفل من الجيد، ليخفي عيب سلعته، فقد أدخل النبي ﷺ يده في جوفها، فأصابت يده بللا، فقال غاضبا: «ما هذا يا صاحب الطعام؟».

قال الرجل –ولم يكن يقصد الغش-: أصابته السماء (أي ماء السماء) يا رسول الله.

قال:

«أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غشَّ فليس مني». صحيح: رواه مسلم عن أبي هريرة كما في صحيح مسلم رقم: 102

أي من أخفى عيوب سلعته فقد غش المسلمين، وليس على هدي سيد المرسلين، وهذا الحديث يدخل فيه كل من كتم عيب السلعة، وخلط الجيد بالرديء، ومزج اللبن بالماء، وفيه وعيد شديد لمن غشَّ بأنه ليس من المسلمين، بل وتوعَّده النبي ﷺ في حديث آخر بالنار، ففي حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال:

«من غشنا فليس منا، والمكر والخديعة في النار» .

صحيح: رواه الطبراني وأبونعيم عن ابن مسعود كما في صحيح الجامع رقم: 6408

وأخذ الإمام الذهبي من هذا التوعد النبوي بالنار على الغش والمكر والخديعة أن الثلاثة من الكبائر.

**الموقف الخامس: الفصيح المجادل**

قال رسول الله ﷺ:

**«إنكم تختصمون إليَّ، وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضي لكم على نحو مما أسمع منكم، فمن قضَيتُ له من حق أخيه شيئا، فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها يوم القيامة».**

صحيح: أخرجه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي كما في السلسلة الصحيحة رقم: 455

وقول النبي ﷺ: «**قطعة من النار**».

يعني باعتبار ما سيؤول إليه في الآخرة، فإن صاحبه سيعذَّب بسببه، فسماه نارًا لما كان سبب عذاب صاحبه بالنار.

وتمام الحديث في البخاري:

«**فليأخذها أو ليتركها**».

والأمر للتهديد لا للتخيير، فهو مثل قوله تعالى: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} .

وزاد عبد الله بن رافع في آخر الحديث: فبكى الرجلان وقال كل منهما: حقي لك، فقال النبي ﷺ:

«**أما إذا فعلتما فاقتسما وتوخَّيا الحق، ثم استهِما، ثم تحاللا**».

حسن: رواه أبوداود عن كما في سنن أبي داود رقم: 3584 بتحقيق الأرناؤوط

آه لو عمل الناس بهذا الحديث، إذن لتراجعت القضايا والخصومات في محاكم اليوم إلى العُشْر.

**الحقيقة التاسعة: هذا للرجال، فماذا للنساء؟!**

يتبادر دائما هذا السؤال إلى الأذهان:

إذا كانت الحور العين للرجال في الجنة، فماذا للنساء؟!

سؤال قريب من هذا خطر على ذهن أم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية حين أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله .. ما أرى كل شيء إلا للرجال؟ وما أرى النساء يُذكَرن بشيء؟ فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: 35]. صحيح الترمذي رقم: 2565

إذًا، فكل ما يذكر من نعيم في الجنة للرجال، فإن للنساء مثله.

وعد الله الصالحين بالزوجات الجميلات، كما وعد الصالحات بأنه ليس منهن امرأة عازبة، كما أنه ليس فيها رجل أعزب، فقال ﷺ: «وما في الجنة أعزب».

فالكل في الجنة ذو أزواج، من النساء أو الرجال، وكل ما تمتع به الرجل في الجنة، فللمراة مثله لو أرادت.

**الحقيقة العاشرة: التعريف الحقيقي للفوز**

قال تعالى:

(فمن زُحزِح عن النار وأُدخِل الجنة فقد فاز)

وصدق القائل:

ما شِقْوَةُ المرء في فَقرٍ يعيش به ...

ولا سعادته يوما بإكثار

إنَّ الشّقيَّ الذي في النار مَنْزِلُهُ ...

والفوز فوز الذي ينجو مِن النَّارِ

وعلى هذا كانت تربية النبي ﷺ لأصحابه منذ السنوات الأولى لبعثته، فقد قال لصهيب الرومي رضي الله عنه –وهو من أول ستة أسلموا– لما هاجر، وترك ماله وأملاكه للمشركين ليسمحوا له بالهجرة:

يا أبا يحيى! ربح البيع، ثلاثا.

وهي تهنئة نبوية ليست بصفقة تجارية، ولا قصور كسروية، بل لمن ترك الصفقات وضحى بالثروات والمغريات ليشتري نعيما غائبا اسمه: الجنة.

وعندها تصبح الخسارة الحقيقية: خسران الجنة ودخول النار، وهذا المفهوم مثَّل تحولا جوهريا لدى العرب، وكان تغيرا محوريا في منظومة القيم والتصورات عند أهل الجاهلية، واسمع ما قال شُرَيْح بن عُبَيْد:

«كانت تعزية أهل الجاهلية: كل مصيبة ما عدا النفس جلل، فلما أسلموا وتفقَّهوا قالوا: كل مصيبة ما عدا النار جلل!» .

ومن هنا كان المؤمن الحق محبا للدنيا؛ لأن فيها كثير من فرص الفوز بالجنة! فكيف لا يحبها؟!

قال يحيى بن معاذ: «كيف لا أحب دنيا قُدر لى فيها قوت أكتسب به حياة، أدرِك به طاعة، أنال بها الجنة».

وبذا تفهم قول عمر رضي الله عنه:

«لولا ثلاث لما أحببت البقاء:

لولا أن أحمل على جياد الخيل في سبيل الله، ومكابدة الليل ، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر».

ومثله قول أبو سليمان الداراني:

«لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا، وما أحب البقاء في الدنيا لتشقيق الأنهار ولا لغرس الأشجار».

## خطتي في هذا الكتاب!

**يعرض هذا الكتاب لاثني عشر وجه مقارنة بين الجنة والنار، ليسهِّل عليك المقارنة والاختيار، والهدف من هذا الكلام: قلبك لا قبل عقلك، فالمطلوب أن تعيش في هذه التفاصيل، وتتأمل طويلا في حياة الغد، لينعكس هذا على حالك اليوم، بل ويقود انقلابا إيمانيا يهدف لترتيب أولوياتك وتنظيم أوقاتك، بما يجعل الآخرة الأعلى والأَوْلى.**

**واسمعوا ما أتطلع إليه من وراء هذه الرسالة في عبارة واحدة شافية كافية، وهي عبارة وصفت بها أم أبان بنت عتبة بن ربيعة رضي الله عنها عمر بن الخطاب ﷺ، فقالت:**

**«قد أذهله أمر آخرته عن أمر دنياه، كأنما ينظر إلى ربه بعينه».**

**هيا بنا نقتفي أثَر الفاروق في الصفحات المقبلة..**

**أولا: أبواب الجنة + أبواب النار**

أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، وهذا إن دلَّ على شيء فيدل على أن رحمة الله سبقت غضبه، فقد جعل الله أبواب الجنة أزيد من أبواب النار، والباب في الجنة ليس بالأمر الهيِّن، فقد أقسم النبي ﷺ فقال:

«والذي نفسي بيده، إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى». صحيح: رواه الشيخان وأحمد عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: **1466**

والمِصراعان: جانبا الباب، وهَجَر مدينة في البحرين، وبُصْرى مدينة معروفة بالشام، وهي مدينة حوران القريبة من دمشق، ومن عجائب الإعجاز أنهم وجدوا أن المسافة من مكة إلى هَجَر **794** ميلا، وهي نفس المسافة بين مكة وبُصرى: **794** ميلا.

ومن الأحاديث الدالة على سعة أبوب الجنة: حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال:

«ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا، أو سبع مائة ألف – لا يدري أبو حازم أيهما قال – متماسكون، آخذ بعضهم بعضا، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر».

صحيح: رواه البخاري في صحيحه رقم: **6554**

**ومعنى متماسكين، أي ممسِكٌ بعضهم بيد بعض، ويدخلون الجنة صفا واحدا، بعضهم بجوار بعض، وهذا تصريحٌ بعظم سعة أبواب الجنة، وبشارة رائعة بكثرة من يدخل الجنة من العباد من خلال هذه الأبواب العظيمة.**

**لمن تُفتَح أبواب الجنة؟!**

**وقد أخبرنا النبي ﷺ أن:**

- **أبواب الجنة تفتح كلَّ عام في رمضان، ومنها باب الريان، والذي لا يدخل منه إلا الصائمون.**
- **وأن بابا للمكثرين من الصلاة، وبابا للمتصدقين، وبابا للمجاهدين، وأخبر النبي ﷺ أن أبا بكر ﷺ يُدعَى من هذه الأبواب جميعا.**
- **وأن الذي يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يقول حين يفرغ من وضوئه: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، تفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء.**
- **وأن أبواب الجنة تُفتَح يومي الاثنين والخميس، «فيُغفَر فيها لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظِروا هذين حتى يصطلحا». صحيح: رواه مسلم وأبوداود والترمذي عن أبي هريرة كما صحيح الجامع رقم: 5281**

وفتح الأبواب حقيقي، وقيل: هو بمعنى كثرة الغفران ورفع المنازل ومنح جزيل الثواب.

قال القرطبي مرجِّحا الرأي الأول، ومعلِّقًا على الحديث الأخير:

«الفتح حقيقة، ولا ضرورة تدعو إلى التأويل، ويكون فتحها تأهبا من الخزنة لمن يموت يومئذ ممن غفر له، أو يكون علامة للملائكة على أن الله تعالى يغفر في ذينك اليومين (يوم الاثنين ويوم الخميس)».

والمؤمن يغار، لا ممن فاقه برصيده في البنك من الدولار والدينار، بل من أن يسبقه أحدٌ من الأبرار، وهذه علامة رجاحة عقله؛ إذ قدَّم ما يبقى على ما يفنى، لذا يطمع أن يدخل الجنة من أبوابها جميعا، كما طمع في ذلك سالم بن عبد الله بن عمر حين قال:

«رأيتُ في المنام كأن ثمانية أبواب الجنة فُتِحَت إلا بابا واحدا، فقلت: ما شأن هذا الباب؟! فقيل: هذا باب الجهاد ولم تجاهد، فأصبحت وأنا أشتري الظَّهْر».

## لماذا تفتيح أبواب الجنة؟!

قال ابن القيم:

«تأمَّل قوله سبحانه في سورة ص: (جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ (50)) ..

كيف تجد تحته معنىً بديعا، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تُغلَق أبوابها عليهم، بل تبقى مُفتَّحة كما هي، وفي تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى:

- تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم من الجنة حيث شاءوا.
- ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم.
- ودخول ما يسُرُّهم عليهم كل وقت.

وأيضا أشار إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب، كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا».

وإليك فائدة أخرى لتفتيح أبواب الجنة أشار إليها الإمام القرطبي، فقال:

«وإنما قال: (مفتحة) ولم يقل مفتوحة، لأنها تُفتَح لهم بالأمر، لا بالمسِّ».

لكن .. من الآمر بفتحها؟!

هل هو الله جل جلاله؟

أم بعض الملائكة يأمرون خزنة الملائكة الذين على أبواب الجنة؟!

أم خلق من خلق الله مما لا نعلمه؟!

اسرح في هذه اللحظة الرائعة فوق الخيال، وادفع الثمن اليوم من صالح الأعمال.

## في شرف الاستقبال:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«من أنفق زوجين في سبيل الله، دعاه خزنة الجنة، كل خزنة باب: أي فُلْ .. هلم»، قال أبو بكر: يا رسول الله، ذاك الذي لا توى عليه، فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكون منهم». صحيح البخاري عن أبي هريرة كما في صحيح البخاري رقم: **2841**

ومعنى «أي فُلْ»: ترخيم فلان، أي: يا فلان.

ومعنى «لا توى عليه»: أي لا ضياع ولا هلاك عليه.

و«في سبيل الله»: معناه الجهاد في سبيل الله، ويحتمل العموم أي في كل وجوه الخير.

ولأن الصحابة كانوا يتلقوم كل أمر النبوي للتنفيذ والعمل، فقد روى صعصعة تطبيقا عمليا لهذا الحديث، رآه من أبي ذر الغفاري ﷺ:

**رأيتُ أبا ذر بالربذة وهو يسوق بعيرا له عليه مزادتان، قال: سمعت النبي ﷺ يقول:**

**«ما من مسلم ينفق من ماله زوجين في سبيل الله إلا استقبلته حجبة الجنة، كلهم يدعوه إلى ما عنده».**

**قلت: زوجين ماذا؟**

**قال: إن كان صاحب خيل ففرسين، وإن كان صاحب إبل فبعيرين، وإن كان صاحب بقر فبقرتين، حتى عدَّ أصناف المال.**

صورة: ما من مسلم ينفق من ماله زوجين

**وهذا ترغيب في كثرة الإنفاق في سبيل الله، والتصدق بالكثير طمعا في الثواب الجزيل، وحرصا منك على تسابق خزنة الجنة على حسن استقبالك والترحيب بجنابك، وأنت بَعْدُ على مشارف الجنة.**

**أبواب النار:**

**قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾**

**قال ابن كثير في تفسيرها:**

**«أي قد كُتِب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه، لا محيد لهم عنه، أجارنا الله منها، وكلٌّ يدخل من بابٍ بحسب عمله، ويستقر في درَكٍ بحسب عمله».**

**ورُوِي عن علي بن أبي طالب ﷺ قوله وهو يخطب:**

**«أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، حتى تمتلئ كلها».**

**وتفصيلات هذه الأبواب، ومن يدخل من كل باب مما لم نطالَب بعلمه، ولا يلزمنا في هذا الباب إلا ما ورد في كتاب الله وما ثبت عن رسول الله ﷺ.**

**لكن لنا هنا وقفة:**

**قارِن هذا بحال المؤمنين الذين لهم كامل الحرية في دخول أبواب الجنة الثمانية.**

**وأبواب النار مغلقة على الدوام، لا تُفتَح إلا عند مجيء أهلها إليها، وذلك ليفاجأهم عذابها، فيكون هذا أعظم في نكايتهم، وزيادة في ندامتهم:**

**﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، ثم تُغلَق على أهلها بعد دخولهم، ومع الإغلاق يكون اليأس من الإفلات، والانقطاع عن كل أسباب النجاة.**

إن الباب في الدنيا أملٌ في الفكاك والإفلات، لكن إغلاق أبواب النار يخنق هذا الأمل، ويورث اليأس من فرص النجاة أو الهرب: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم **مُؤْصَدَةٌ**﴾.

**واليأس هو الموت الحقيقي وأسوأ أنواع العذاب النفسي. قال قتادة في معنى إيصاد الأبواب:**

«أي مطبقة، أطبقها الله عليهم فلا ضوء فيها ولا فرج، ولا خروج منها آخر الأبد».

وقد بيَّن ابن رجب أن إطباق أبواب النار نوعان:

أحدهما:

إطباق خاص وهو لمن يدخل في النار، أو من يريد الله التضييق عليه أجارنا الله من ذلك.

الثاني:

إطباق عام وهو إطباق النار على أهلها المخلدين فيها.

وإطباق أبواب النار على أهلها هو جزاء من جنس أعمالهم.

قال تعالى:

قال ابن القيم في تفسيره لقوله تعالى: (كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ):

«لما كان الكفار في سجن الكفر والشرك وضيقه، وكانوا كلما همُّوا بالخروج منه إلى فضاء الإيمان وسعته وروحه، رجعوا على حوافرهم، كانت عقوبتهم في الآخرة كذلك، فالكفر والمعاصي والفسوق كله غموم، وكلما عزم العبد أن يخرج منه أبت عليه نفسه وشيطانه، فلا يزال في غَمِّ ذلك حتى يموت، فإن لم يخرج من غَمِّ ذلك في الدنيا بقي في غمه في البرزخ وفي القيامة.

وإن خرج من غمِّه وضيقه ها هنا، خرج منه هناك».

**يا مسكين:**

**أبعد هذا التفصيل..تحتار؟!**

**بين أبواب الجنة، وأبواب النار؟!**

**ثانيا: رؤية وجه الله الكريم أو الحجاب**

**وهو لون من أعلى اللذات الروحية، وهي في الجنة أعظم بكثير من ملذات الجنة الحسية، ولذا كان أعظم النعيم في جنات النعيم: النظر إلى وجه الله الكريم.**

**قال رسول الله ﷺ:**

**«إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون:**

**ألم تبيض وجوهنا؟**

**ألم تُدْخِلنا الجنة وتنجنا من النار؟**

**فيُكشَف الحجاب، فما أُعْطوا شيئا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم».**

**صحيح: رواه مسلم والترمذي عن صهيب كما في صحيح الجامع رقم: 523**

**وكما قرأتَ في الحديث، فإن رؤية الله هي أحب وأعظم نعيم أهل الجنة، ولذا قال الحسن البصري:**

**«إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى، نسوا نعيم الجنة».**

**وما كان أبو حامد الغزالي مبالغا حين قال:**

**«ولا تظنن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم، بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم أهل الجنة**

**كلذة مُلْكِ الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق، بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به».**

**ومنا هنا قال ابن الأثير:**

**«رؤية الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة».**

**وما ظنك بشدة فرح المؤمنين حين تثقل موازينهم؟**

**أو قمة سعادتهم حين يستلمون صحفهم بيمينهم؟**

**أو روعة بهجتهم حين يجتازون الصراط فوق جهنم؟**

**ثم قمة حبورهم إذا أُدخِلوا الجنة وأُعطوا فيها ما أُعطوا من النعيم؟!**

**لكن كل هذه المباهج والأفراح تتوارى خجلا، ولا تساوي شيئا إذا نظروا إلى وجه الله الكريم.**

**ولذا كانت هذه الرؤية من أعظم المحفِّزات على العبادة، وأكثر الأسباب تأثيرا في استقامة العبد، ومن هنا كان الإمام الشافعي يقول:**

**«أما واللَّه، لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد، لما عبده في الدنيا».**

**إن نظرة واحدة إلى وجه الله الكريم، كفيلة بأن تنسيك كل ألم دنيوي مرَّ بك، وكل شدة عصفت بحياتك.**

وصدق ابن القيم حين قال في تعليقه على حال النسوة بعد أن رأين جمال يوسف:

«إذا كانت مشاهدة مخلوق يوم أُخرِج عليهن استغرقت إحساس الناظرات، فقطَّعْن أيديهن وما شعرن، فكيف بالحال يوم المزيد؟!».

حكمة احتجاب الله عن خلقه؟!

ذكر الإمام الدارِميُّ أن الله احتجب عن خلقه (ليبلوَ بذلك إيمانهم، أيُّهم يؤمن به ويعرفه بالغيب ولم يره، وإنما يجزي العباد على إيمانهم بالغيب، لأن الله عز وجل لو تبدّى لخلقه، وتجلَّى لهم في الدنيا، لم يكن لإيمان الغيب هناك معنى، كما أنه لم يكفر به عندها كافر، ولا عصاه عاصٍ، ولكن احتجب عنهم في الدنيا، ودعاهم إلى الإيمان به بالغيب، وإلى معرفته والإقرار بربوبيته، ليؤمن به من سبقت له منه السعادة، ويحق القول على الكافرين.

ولوْ قد تجلى لهم لآمن به مَن في الأرض جميعاً بغير رسل ولا كتب ولا دعاة، ولم يعصوه طرفة عين، فإذا كان يوم القيامة تجلى لمن آمن به وصدَّق رسله وكتبه، وآمن برؤيته، وأقرَّ بصفاته التي وصف بها نفسه حتى يروْه عياناً، مثوبة منه لهم وإكراما؛ ليزدادوا بالنظر إلى مَن عبدوه بالغيب نعيما، وبرؤيته فرحاً واغتباطا، ولم يُحْرَموا رؤيته في الدنيا والآخرة جميعا.

**وحُجب عنه الكفار يومئذ، إذْ حُرموا رؤيته كما حُرِموها في الدنيا؛ ليزدادوا حسرة وثبوراً).**

**هل سنرى الله حقا؟!**

**هذا سؤال بادر به أصحاب النبي ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن أناسا في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله .. هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ:**

**«نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب»، قالوا: لا، قال «وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟»: قالوا: لا، قال النبي ﷺ: «ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما». صحيح: صحيح البخاري رقم: 4581**

**وفي لفظ صحيح البخاري: «إنكم ترون ربكم عيانا». صحيح: صحيح البخاري رقم: 7435**

**شبَّه النبي ﷺ رؤية الله برؤية أظهر المرئيات، فليس هناك حجاب يحول دون هذه الرؤية، فرؤيتكم لربكم أمر محقق، كما أن مشاهدة الشمس والقمر أمر محقق.**

وقد سئل الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة عن قول الله تعالى: (إلى ربها ناظرة) [ القيامة : 23]، فقيل: إن قوما يقولون: إلى ثوابه، فقال مالك: كذبوا، فأين هم من قوله تعالى: (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [المطففين: 15]؟!

وقال رحمه الله:

«لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة، لم يُعبِّر الله عن الكفار بالحجاب».

## تفاوت النظر نوعا وكَمًّا!

لكن النظر إلى الله في الجنة يتفاوت باختلاف درجات العباد في الجنة، وهذا التفاوت بسبب أعمالهم، ويقع نوعا وكَمًّا.

أما نوعا، فكلما زادت معرفتك بالحبيب، زادت محبتك له، وكلما زادت محبتك، زاد تلذذك بالنظر إليه.

قال ابن القيم:

«لذة النظر إليه سبحانه تابعة لمعرفتهم به، ومحبتهم له؛ فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة، فكلما كان المحب أعرف بالمحبوب، وأشد محبة له، كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه أعظم».

### صورة: لذة النظر إلى الله سبحانه نابعة

وأما كَمًّا:

فقد قال السعدي عن قول الله تعالى: {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}:

«تنظر إلى ربِّها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء».

قال الإمام القشيري في تأمل بديع لقوله تعالى: «عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ»: «أثبت النظر ولم يبيّن المنظور إليه؛ لاختلافهم في أحوالهم، فمنهم من ينظر إلى قصوره.

ومنهم من ينظر إلى حوره، ومنهم ومنهم.. ومنهم الخواصُّ، فهم على دوام الأوقات إلى الله– سبحانه– ينظرون».

سِكَّة الوصول إلى النظر المأمول؟!

أولا: حافظ على هذا الدعاء!

وقد علّمنا رسول الله ﷺ أن ندعو بهذا الدعاء:

«وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك».

وقد جمع هذا الدعاء أطيب وأهنأ شيء في الدنيا، وهو الشوق إلى لقاء الله تعالى، وأنعم وأطيب شيء في الآخرة، وهو النظر إلى وجه الله الكريم، الذي لا شيء أجمل، ولا أنعم، ولا أهنأ من رؤيته.

ثانيا: المحافظة على الصلوات المفروضة، وبالأخص: صلاة الفجر والعصر، فعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال:

«كنا عند النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق:39]». صحيح: رواه البخاري في صحيحه رقم: **554**

والحديث يرشدك إلى طريق سهل للفوز برؤية وجه الله الكريم، وهو المحافظة على هاتين الصلاتين، فهذا عمل مكافأته رائعة ومضمونة، وهي جائزة رؤية الله في الجنَّة.

**ثالثا: الابتعاد عن الذنوب والمعاصي**

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسِروا، من هم يا رسول الله؟ قال:

«المسبل، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحَلِف الكاذب». صحيح: صحيح مسلم رقم: **171**

<u>والمسبل:</u>

يريد به إسبال الثوب وإطالته على وجه الكِبْر والخُيَلاء، وكان هذا مشهورا عند العرب كعلامة كِبْر واستعلاء، وسر هذه العقوبة الشديدة أن ذرة الكِبْر

الواحدة تمنع صاحبها من دخول الجنة، والكِبْر هو الخطيئة التي أخرجت إبليس من الجنة، وكانت سبب خلوده في النار.

والمنان:

يعني الذي يمُنُّ بالصدقة، فينفق صدقته ثم يعيِّر بها من أنفقها عليه.

وأصل المنُّ من أحوال القلب، ثم تفرعت منه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارِح، فأصله أن يرى المنفق نفسه محسِنا إلى الفقير مُنْعِمًا عليه، وكان الواجب عليه: أن يرى الفقير هو المُحسِن إليه بِقبول حَقِّ الله منه، وفي قبول هذا الحق تطهيرٌ لمال الغني ونجاته من النَّار، ولو لم يقبل الفقير هذه الصدقة لبقِيَ حَقُّ الله معلَّقا في رقبة الغني، فليتعامل كل موسِر مع من تصدق عليه على أنه نائب عن الله تعالى في قبض حقه، وبذا لا يبقى في قلبه أي أثرٍ للمنِّ أو الكِبْر، بل يرى الفقير المتفضِّل عليه.

وأما المنفق سلعته بالحلِف:

فهذا أيضا محروم من لذة النظر إلى ربه، وهو أن يحلف البائع: لقد أُعطيتُ بهذه السلعة كذا وكذا، وما أُعْطِيَ، فكذب ليبيع سلعته ويروِّج لها.

روى البخاري عن عبد الله بن أوفى أن رجلا أقام سلعة في السوق، فحلف بالله لقد أُعْطِي بها ما لم يُعْطَه ليوقع فيها رجلا من المسلمين، فنزلت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آل عمران: 77 صحيح: صحيح البخاري رقم: **2088**

فجمع الله هذه العقوبات كلها فى هذه اليمين الغموس، لما جمعت من المعاني الفاسدة، فقد كذب في الحلِف بالله تعالى، وهو أَجَلُّ ما يُحَلف به، وقام بالتغرير بمسلم بيمينه تلك، واستحلَّ مال غيره بالباطل، وهو الثمن القليل الذى لا يدوم له في الدنيا، وكل ما يزول قليل مهما عظُم..

ودلَّ الحديث على تحريم ترويج السلع التجارية بالأَيْمان، وما أكثر من يفعل هذا اليوم.

وجاء سبب نزول آخر لهذه الآية، وهو ما أخرج الشيخان عن ابن مسعود ﵁

أن رسول الله ﷺ قال:

«من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان». صحيح: صحيح البخاري رقم: **2673**

فأنزل الله تعالى تصديق ذلك: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾

والمراد بنفي نظر الله ما يترتب عليه من نفي الإحسان إليه وعدم الاعتداد به، فقد جرت العادة بأن من اهتمَّ بإنسان وعطف عليه التفت إليه.

وقد ورد تغليظ عقوبة الحلف الكاذب في أكثر من حديث، فعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال:

«مرَّ أعرابي بشاة، فقلت: تبيعها بثلاثة دراهم؟ فقال: لا والله، ثم باعها، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «باع آخرته بدنياه». صحيح: رواه ابن حبان عن أبي سعيد كما في السلسلة الصحيحة رقم: **364**

رابعا: عبادات السر

قال علي بن المديني:

سألتُ عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً}، فقال:

«من أراد النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى خالقه، فليعمل عملا صالحا ولا يخبر به أحدا».

حجاب أهل النار:

قال تعالى عن أهل النار:

(كلا إنهم عن ربهم يؤمئذ لمحجوبون ثم انهم لصالو الجحيم)

فأخبر الله أن لهم عذابين، أحدهما عذاب الحجاب عنه، والثاني: صلي الجحيم، وكل من العذابين أشدُّ من الآخر.

بل يرى ابن تيمية عذاب الحجاب أعظم، فقال رحمه الله:

«عذابُ الحِجَاب أعظم أنواع العذابِ، ولَذَّةُ النَّظر إلى وجهه أعلى اللَّذَّات».

ولو نظر الله للكفار لرحمهم. قال أبو عِمران الجَوْني:

«ما نظر اللَّه إلى شَيْءٍ إلَّا رحِمَه، ولو نَظَر إلى أهل النَّار لَرَحِمَهم، لكنَّه قضى عليهم أن لا ينظر إليهم».

وقال ابن المبارك: «ما حجب الله عز وجل أحدا عنه إلا عذَّبه، ثم قرأ: {كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ}».

عذاب الحجاب عن الله أعظم من إشعال النار في أجسام أصحاب النار، بل إن التهاب نار الحجاب في قلوبهم: هو الذي أوجب التهابها في أبدانهم.

ويشرح ابن القيم خطورة عذاب الحجاب، وكيفية تأثيره في القلوب في تحليل نفسي رائع، فيقول:

«حب الله والرضا به وعنه والذل له والخضوع والتعبد هو غاية سعادة النفس وكمالها، والنفس إذا فقدت ذلك كانت بمنزلة الجسد الذي فقد روحه وحياته، والعين التي فقدت ضوءها ونورها، بل أسوأ حالا من ذلك من وجهين:

أحدهما: أن غاية الجسد إذا فقد روحه أن يصير معطَّلا ميتا، وكذلك العين تصير معطَّلة، وأما النفس إذا فقدت كمالها، فإنها تبقى معذَّبة متألِّمة، وكلما اشتد حجابها، اشتد عذابها وألمها.

وشاهد ما يجده المحب الصادق من العذاب والألم عند احتجاب محبوبه عنه، ولا سيما إذا يئس من قربه، وحظى غيره بحبه ووصله.

هذا مع إمكان التعوض عنه بمحبوب آخر نظيره أو خير منه، فكيف بروحٍ فقدت محبوبها الحق الذي لم تُخلَق إلا لمحبته؟!

ولا كمال لها ولا صلاح أصلا إلا بأن يكون أحب إليها من كل ما سواه، وهو محبوبها الذي لا تُعوَّض منه بوجه ما، كما قال القائل:

من كل شيء إذا ضيَّعتَه عِوَضٌ ... وما من الله أن ضيَّعته عِوَضُ

والوجه الثاني:

أن البدن والأعضاء آلات ورَعِيَّةٌ للقلب وخدمٌ له، فإذا فقد بعض البدن كماله، كان بمنزلة هلاك بعض جند الملك ورعيته، وقد لا يلحق المِلِك من ذلك ضرر أصلا.

وأما إذا فقد القلب كماله الذي خُلِقَ له وحياته ونعيمه، كان بمنزلة هلاك المَلِك وأسره وذهاب مُلْكه من يديه، وصيرورته أسيرا في أيدي أعاديه، فهكذا الروح إذا عدِمَتْ معرفة فاطرها وبارئها، كانت بمنزلة المِلِك الذي ذهب منه مُلكُه، وأصبح أسيرا في يد أعاديه، يسومونه سوء العذاب.

وهذا الألم كامن في النفس، لكن يستره ستر الشهوات، ويواريه حجاب الغفلة؛ حتى إذا كُشِفَ الغطاء، وحيل بين العبد وبين ما يشتهي، وجد حقيقة ذلك الألم، وذاق طعمه، وتجرَّع ألمه عما يحجبه ويواريه».

يا مسكين:

أبعد هذا التفصيل..تحتار؟!

بين النظر إلى وجه الله الكريم، وحجاب أصحاب الجحيم؟!

### ثالثا: رائحة الجنة

**ما أطيب ريح الجنة!**

إن للجنة رائحة فواحة زكية تفيض على ما حولها، ويجدها المؤمنون من مسافات لا تخطر ببال، ولا يدركها خيال، فإن أهل الجنة يجدون ريحها من مسيرة خمسمائة عام، وفي رواية: من مسيرة مائة عام، وفي رواية: سبعين عاما، وقيل: أربعين، وكلها روايات صحيحة، فكيف الجمع بينها؟!

قال ابن حجر:

«والذي يظهر لي في الجمع أن يُقال:

إن الأربعين أقلُّ زمنٍ يُدرِك به ريح الجنة مَنْ في الموقف.

والسبعين فوق ذلك، والخمسمائة، ثم الألف أكثر من ذلك.

ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأعمال».

أي أن أقل مسافة يجد منها العبد رائحة الجنة أربعون عامًا، وقد توجد ريحها مِنْ مسافة أكبر، وهذا باختلاف الأشخاص ودرجات الأعمال، فكلما قوي إيمان العبد، وارتفعت درجته عند ربه، وجد ريح الجنة من مسافة أبعد.

وهو ما قاله المباركفوري:

**«الجمع بين هذه الروايات أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، بتفاوت منازلهم ودرجاتهم».**

**أخي ..**

**تخيل نفسك!**

**حين تجد ريح الجنة من مسيرة عشرات الأعوام، فعندها تزول كل الآلام، وتغادرك إلى غير رجعة سائر الأحزان، فما بالك بحالك بعد دخول الجنة، وتمتعك بألوان النعيم، وتلذذك بالنظر إلى وجه الله الكريم؟!**

**المحرومون من ريح الجنة؟**

**جاء في أحاديث كثيرة أن هناك مَنْ (لا يجد ريح الجنة)، فما معنى هذه العبارة؟!**

**المعنى:**

- **أي لا يدخل الجنة أبدا إن كان مستحِلًّا للذنب مع علمه بتحريمه.**
- **أو لا يجد ريح الجنة مع السابقين إليها، بل يدخل الجنة بعد أن يعذَّب بمقدار ذنبه، إلا أن يعفو الله عنه.**
- **أو هو من باب المبالغة في التهديد، وخرج مخرج الزجر والتغليظ.**

**وهؤلاء المحرومين ستة أصناف:**

1. **من ضيَّع رعيته:**

**عن معقل بن يسار قال: سمعت النبي ﷺ يقول**

«ما من عبد استرعاه الله رعية، فلم يحطها بنصيحة، إلا لم يجد رائحة الجنة». صحيح: **رواه البخاري رقم: 7150**

**وهؤلاء الأمراء الذين فرَّطوا في حق الرعية، وخانوا الأمانة التي استرعاهم الله إياها، فلم يقوموا على مصالح العباد، لذا فهُمْ أبعد الناس غدا عن الجنة، ولا يجدون ريحها التي تُدْرَك من أبعد المسافات، وما هذا إلا عقوبة لهم على عظيم جرمهم وفداحة تقصيرهم.**

**جاءت الروايات بأن معقل بن يسار حدَّث بهذا الحديث عبيد الله بن زياد حين عاده في مرضه الذي مات فيه، وكان ابن زياد أمير البصرة في زمن معاوية وولده يزيد، وكان سفَّاكًا للدماء، ولذا حدَّثه معقل بما يردعه عن ظلم الرعية، ويخوِّفه من العذاب الشديد الذي ينتظر الظالمين، لعل قلوب المجرمين تلين!**

**2. طلب الطلاق من غير بأس!**

**لقول النبي ﷺ:**

«أيما امرأة سألَتْ زوجها طلاقًا في غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنة». صحيح: رواه أحمد وابن ماجة والترمذي عن ثوبان كما في **صحيح الجامع رقم: 2706**

## صورة: الطلاق من غير يأس = لا تجدين ريح الجنة

وهذا الحديث متعلِّق بحالة خاصة، وهي أن تطلب المرأة الطلاق من زوجها بغير سبب شرعي معتبَر، كأن تحب رجلا غير زوجها، فتطلب الطلاق لتتزوج منه، أو أن تقيم علاقة برجل أجنبي يعدها بالزواج، فتتخلص من زوجها بطلب الطلاق منه، فهذه ينالها هذا الوعيد الشديد.

وأما من طلبت الطلاق لسبب شرعي، كأذى لحقها من زوجها أو عيب يستحيل معه استمرار الحياة الزوجية، فلا تدخل تحت مظلة هذا الوعيد.

### 3. تعلم العلم لغير وجه الله:

**عن أبي هريرة ﷺ قال:**

**قال رسول الله ﷺ:**

**«من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عوضا من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة».**

**صحيح: رواه أحمد وأبوداود وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: 6159**

**أي لم يَقصد هذا المتعلِّم في تعلُّمه إلا أن ينالَ الحظوظَ الدنيويةَ كالمال والجاه والشهرة وأن يُشارَ إليه بالبنان، ونكَّر «عَرَضًا» ليتناول جميعَ المطامع الدنيوية، قليلَها وكثيرَها.**

ومن أهم علامات إخلاص العالم: قبوله النصح، وقبول النصح علامة كمال العقل.

قال الإمام الحافظ المتقن عبد الغني المصري:

«لما رددتُ على أبي عبد الله الحاكم الأوهام التي في (المدخل) بعث إليَّ يشكرني، ويدعو لي، فعلمتُ أنه رجل عاقل»

فكم منا اليوم من يرحِّب النصيحة، أو يشكر عليها من نصحه؟!

4. النسب المزيَّف!

قال رسول الله ﷺ:

«من ادَّعى إلى غير أبيه لم يرِح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام». صحيح: رواه ابن ماجة عن ابن عمرو كما في صحيح الجامع رقم: **5988**

من تنكَّر لنسبه من أبيه، وألحق نفسه بغيره تركا للنسب الأدنى، ورغبة في النسب الأعلى، أو خوفا من الإقرار بنَسَبِه، أو تقربا من السادة والأغنياء، أو لغير ذلك من الأغراض، فهو واقعٌ تحت هذا الوعيد.

5. قتل المعاهَد:

قال رسول الله ﷺ:

«من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاما». صحيح: رواه ابن ماجة والحاكم كما في صحيح الجامع رقم: **6448**

**وفي الحديث:**

«من قتل معاهَدا لم يَرَحْ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما». صحيح: رواه الحاكم والبخاري والنسائي وابن ماجة عن ابن عمرو كما في صحيح الجامع رقم: **6457**

**وقيَّد النبي ﷺ هذا القتل المحرَّم بأن يكون بغير حِلِّه، فقال رسول الله ﷺ:**

«من قتل نفسا معاهدة بغير حلها حرَّم الله عليه الجنة: أن يشم ريحها».

صحيح: رواه أحمد والنسائي عن أبي بكرة كما في صحيح الجامع رقم: **6458**

والمعاهَد هو من عقد مع المسلمين عقدا، كالذي بينه وبين المسلمين عهد، أو هدنة، أو ميثاق، أو أمان من مسلم، ولو أنزلنا هذا الكلام على الواقع المعاصر لقلنا:

حين تأذن الدولة المسلمة لغير المسلمين أن يدخلوها، وتمنحهم تأشيرات دخول، فهذا عهد وميثاق، ولا يجوز لمسلم أن يتعرض للمُعاهَد بالقتل أو الضرب أو الأذى، وشِدَّة العقوبة في الحديث دليلٌ على أنها كبيرة من كبائر الذنوب.

**6. الظالمون والمتبرجات:**

**قال رسول الله ﷺ:**

**«صِنْفان من أهل النار لم أرهما بعد:**

**قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس.**

**ونساءٌ كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة.**

**لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».**

**صحيح: رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: 3799**

**وقد توعَّد النبي ﷺ في هذا الحديث صنفين من الناس بالحرمان من الجنة:**

**- الظالمين الذين يعذِّبون الناس بالسياط وغيرها من وسائل التعذيب.**

**- المتبرجات اللاتي يكشفن عن أجسادهن.**

**قال النووي:**

**«أما "الكاسيات العاريات"، ففيه أوجه:**

**-أحدها: معناه كاسيات من نعمة الله، عاريات من شكرها.**

**- والثاني كاسيات من الثياب، عاريات من فعل الخير.**

**- والثالث: كاسيات ببعض الثياب، كاشفات بعض أجسادهن إظهارا لجمالها.**

**- والرابع: تلبس ثيابا رقاقا تبين عما تحتها من جسدها».**

وأما وصفهن بأنهن (مميلات)، فمعناه: أنهن يكُنَّ سببا في إمالة قلوب الرجال إليهن، أو أنهن يعلِّمن غيرهن من النساء فنون التبرجِ والزينة المحرمة، فتبوء إحداهن بإثمها وإثم غيرها، مما يضاعِف عذابها.

رائحة النار:

وأما روائح النار، فهي روائح شواء اللحم، والروائح الكريهة التي تنبعث من الأجساد المعذَّبة، لتزيد أهل النار عذابا فوق العذاب، وإيلاما فوق الآلام.

قال مكحول الدِّمَشقي: «يجد أهل النَّار رائحة مُنْتِنَة، فيقولون: ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة، فيُقال لهم: هذه ريح فروجِ الزناة».

يا مسكين:

أبعد هذا التفصيل..تحتار؟!

بين ريحِ الجنة، وريح أهل النار؟!

رابعا: درجات الجنة + دركات النار

قال رسول الله ﷺ:

«الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض». صحيح: رواه ابن مردويه عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: **3120**

قيل لكعب بن مُرَّة رضي الله عنه: يا كعب، حدِّثنا عن رسول الله ﷺ واحذر، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بلغ العدو بسهم رفع الله به درجة له»، فقال له عبد الرحمن بن النَّحام: يا رسول الله، وما الدرجة؟، قال: «أما إنها

**ليست بعتبة أمك، ما بين الدرجتين مائة عام». صحيح: صحيح ابن حبان: 4616**

**إن درجات الجنة بعضها فوق بعض، والفارق بين الدرجة والدرجة يفوق الخيال، وأهل الجنة متفاضلون في ما بينهم بحسب منازلهم فيها، واقتسام الدرجات بحسب أعمالهم، فإن كان دخول الجنة برحمة الله، إلا أن اقتسام درجاتها بأعمال العباد، وبهذا تفهم: لم يكسل هذا وينشط هذا؟! فبحسب اجتهادهم في الدنيا يقتسمون منازلهم ودرجاتهم في الجنة.**

**إن الجنة مائة درجة يقابلها مائة درجة من درجات البذل، فمِنْ مستمسك بالحق وحده، ومن داعٍ إليه، ومن مضحٍّ في سبيله بوقته، والأعلى منه المضحي بماله ونفسه، والأعلى منهما: من بذل أكثر منهما، وهكذا.**

**وتفاوت الدرجات في الجنة يتبعه التفاوت في كل شيء، حتى في جمال أهلها، لذا لما عرض الإمام القرطبي لحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة، وأن وجوههم على صورة القمر ليلة البدر، قال:**

**«ويؤخَذ منه أن أنوار أهل الجنة تتفاوت بحسب درجاتهم، وكذا صفاتهم في الجمال».**

**وقد قال الله تعالى في التفاوت بين درجات الآخرة ودرجات الدنيا:**

**(انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ) [ الإسراء: 21].**

والعجيب أن القليل منا من يحسد غيره على ربح الآخرة، والأكثرون يحسدون على نعيم الدنيا مع حقارته وتعرضه للزوال عند مقارنته بنعيم الجنة، كما أن نعيم الدنيا على قَدْر إمكاناتك، ونعيم الآخرة على قَدْر الحق سبحانه، فأيهما أوْلى بالحسَد، والأجدر بالمنافسة؟

وإذا كانت رغبة العبد تشتد في تحصيل النعيم الدنيوي، فإن قوة الرغبة في طلب نعيم الآخرة أَوْلى.

والتفاوت بين أعلى درجة في الجنة وأقل درجة فيها عظيم عظيم!

قال ابن عمر ﵁:

«إن أدنى أهل الجنة درجة: الذي ينظر إلى ملكه مسيرة ألف سنة، وإن أرفع أهل الجنة درجة للذي ينظر إلى ربه بكرة وعشيا».

لكن ألا ينغِّص تفاوت الدرجات على أهل الجنة نعيمهم؟!

والجواب: ليس في الجنة تنغيص، لذا قال الضحاك:

«إن أهل الجنة بعضهم فوق بعض درجات، الأعلى يرى فضله على من هو أسفل منه، والأسفل لا يرى أن فوقه أحدا».

لكن كلام الضحاك يعارضه حديث النبي ﷺ:

«إن أهل الدرجات العلى يراهم من هو أسفل منهم، كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم، وأنعما». صحيح: رواه

أحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد كما في صحيح الجامع رقم: **2030**

قيل لأبي سعيد (راوي الحديث): وما أنْعِما؟! قال:أي هما أهل لذلك.

ومعنى الحديث أن أهل المنازل الدنيا يشاهدون عن بُعْدٍ أهل المنازل العليا في الجنة كما كانوا يشاهدون في الدنيا الكوكب البعيد في أفق السماء.

## صورة: أهل المنازل الدنيا في الجنة يشاهدون عن بُعْد

وفي حديث آخر:

قالوا: يا رسول الله .. تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟!

قال: «بلى والذي نفسي بيده، رجالٌ آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين».

لكن: أي نوعٍ من الإيمان والتصديق هذا الذي يرفع العبد إلى هذه المنازل العالية الغالية؟

قال القرطبي:

«ولم يذكر عملا، ولا شيئا سوى الإيمان والتصديق للمرسلين، ذلك ليُعلَم أنه عنى الإيمان البالغ لتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجلج، وإلا فكيف تُنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذي للعامة؟!

ولو كان كذلك لكان جميع الموحدين في أعالي الغرفات وأرفع الدرجات، وهذا محال، وقد قال الله تعالى: (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا)

**[الفرقان:75]، والصبر: بذل النفس والثبات له وقوفا بين يديه بالقلوب عبودية، وهذه صفة المقربين».**

**دركات النار:**

**والنَّار دركات سبع، بعضها أسفل بعض، وَسُمِّيت طبقاتها دركات؛ لأنها متداركة متتابعة، وكل دركة أشد عذاباً من الدركة التي أعلى منها، ويقتسمها أهل النار بحسب ذنوبهم، فيقتسمون الدركات بقدر الرذائل كما اقتسم أهل الجنة درجاتها بالفضائل.**

**قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:**

**«درجات الجنة تذهب علواً، ودرجات النار تذهب سفلاً».**

**وقد قال الحق تبارك وتعالى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) [ النساء : 145]، فلما كان المنافقون لهم النصيب الأوفر من العذاب، كانوا في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، ولم يكتفوا بذلك، بل تظاهروا الإِسلام لينخروا في جسد الأمة من الداخل، ويفسدوا العقول والضمائر.**

**قال ابن مسعود ﷺ: «فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ فِي تَوَابِيتَ مِنْ حَدِيدٍ مُقْفَلَةٍ فِي النَّار».**

**وكان ابن عمر يقول:**

**«إن أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون».**

**تصديق ذلك في كتاب الله تعالى:**

- **قال الله تعالى : ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾.**
- **وقال تعالى في أصحاب المائدة: ﴿فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾.**
- **وقال في آل فرعون: ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾.**

**يا مسكين:**

**أبعد هذا التفصيل..تحتار؟!**

**بين درجات الجنة، ودركات أهل النار؟!**

**خامسا: فرُش أهل الجنة + فرش النار**

**قال الله عز وجل:**

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ **[الرحمن: 54]:**

**بطائنها من استبرق، وهو أحسن الحرير وأفخره، فكيف بظواهرها التي تمس البشرة؟! فتَرَك الله للعقل أن يسرح بخياله في ظاهر الفُرُش بأن ذكر الباطن.**

**وقد قيل لسعيد بن جبير: البطائن من استبرق، فما الظواهر؟**

**قال: هذا مما قال الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ عْيُنٍ﴾ [السجدة:17]**

**وبينما أهل الجنة في وضع الاتكاء الرائع، استقبلوا نعيما آخر أروع: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾**

**فلما كان المتكيء لا يتم نعيمه إلا إذا كان مخدوما، فقد قال الله: ﴿يدعون فيها﴾ أي كلما أرادوا شيئا نالوه دون حاجة إلى قيام أو بذل مجهود، بل كل ما يتمناه أهل الجنة يسعى إليهم سعيا وهم متكؤون.**

**والاتِّكاء تعبير عن أقصى درجات الراحة والبذخ، كجلوس الملوك على الأسِرَّة، فلا يبذلون أدنى جهد لبلوغ ما يريدون، بل كل شيء حاضر بين أيديهم، ما عليهم إلا أن يطلبوه فيجدوه.**

**ولا يأكل متكئا إلا العزيز الذي ليس عنده جوع يُقعِده للأكل، فطعامه للتفكه والتلذذ لا للجوع والحاجة.**

**لكن .. ما الأرائك؟!**

**الأرائك: جمع أريكة، وهي السرير الذي تُرخَى عليه الستائر الشفافة، وتُعلَّق فوق السرير، ترفا وتنعُّما، مثل سرير العروس الذي يزيَّن بألوان الزينة، ولا يسمى السرير أريكة إلا إذا أحاطت به هذه السَّتائر، وكأن الرسالة:**

**كل يوم تقضيه في الجنة هو بمثابة عُرْسٍ جديد يستدعي هذا الترفيه والتدليل.**

**والسُّرُر هي متكأ أهل الجنة، وهي بمنزلة الوسائد فى الدنيا، فإن كان أهل الدنيا قد اتخذوا السُّرُر للنوم، فإنهم في الجنة يتخذونها لمجرد الاتكاء والاسترخاء؛ لأنه لا نوم في الجنة.**

**تفاوت أهل الجنة حتى في الاتكاء!**

**- وصف الله اتكاء المقربين من أهل الجنتين العاليتين، فقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ﴾.**

**يتكىء أصحاب هاتين الجنتين على فرش بطائنها من إستبرق، وهذا الاتكاء لا يباعد بينهم وبين ثمار الجنة التي تكون في متناول أيديهم في أي مكان يكونون فيه. قال سبحانه: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ﴾.**

**- بينما وصف الله اتكاء أصحاب اليمين في الجنتين الأخريين بقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ﴾.**

والرفرف: المَسْنَد أو الوسادة، ووصَفَه بلفظ الجمع «خُضْر»، فخُضْر جمع أخضر، وفي هذا إشارة إلى أن لكل واحد من أهل الجنة مسندا خاصا به يتكيء عليه، لكن المساند كلها ذات لون أخضر.

والعبقري: الجيد من البُسُط، والخارق للعادة فى دقة صنعه وجماله، وقد خاطب الله العرب هنا بما يعرفون، فقد كانوا يطلقون اسم (عبقر) على مدينة الجن، وتنسب العرب كل جميل إليها، ولا تزال هذه التسمية مستعملة إلى اليوم، فيقال لكل شخص فائق الذكاء: عبقري، والمعنى:

نظرا لروعة مساند الجنة، فكأنها ليست من عمل الإنس (وهي كذلك)، وكأن أهل الجنة ظنوا أنها صُنِعَتْ في هذه المدينة الخيالية.

وإذا قال خالق النقوش عن العبقري: إنها حسان، فما ظنك بحسنها؟!

والفارق واضح بين مُتَّكأ أصحاب الجنتين العاليتين، والجنتين الواقعتين تحتهما..

فبينما اتكاء المقربين على فرش بطائنها من إستبرق وهو الحرير السميك، فمتكأ أصحاب اليمين على رفارف ومساند خضر، ولا نعرف هل هي من حرير أم من غيره، لكن لا شك أن الإستبرق أعلى من العبقري.

وبينما اتكاء المقربين لا يحتاجون معه للقيام لقطف ثمار الجنة، فلا نعرف إن كان اتكاء أصحاب اليمين يباعدهم عن ثمار الجنة، فلا تناله أيديهم إلا إذا اعتدلوا في جلستهم، أم أنهم ينالونه من قريب؟

وهذه التفرقة بين المقربين وأصحاب اليمين مما يقتضيه عدل الله الذي لا يظلم مثقال ذرة، ويقسِّم نعيم الجنة بحسب أعمال العباد.

فراش أهل النار:

(لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ)

والمهاد: الفراش، والغواش جمع غاشية، وهي اللُّحُف، فبئس اللِّحَاف وبئس الفِرَاش، أي أن النيران تغشاهم من كل مكان، وتحيط بهم مِنْ فوقهم ومِنْ تحتهم.

يا مسكين:

أبعد هذا التفصيل..تحتار؟!

بين سُرُر الجنة، وفُرُش أهل النار؟!

سادسا: خيام الجنة وقصورها!

أخبرنا الله تعالى أن في الجنة خياما، فقال: (حورٌ مقصورات في الخيام) [الرحمن:72].

وهي خيام عجيبة، مصنوعةٌ من اللؤلؤ، بل الخيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفة، طولها ستون ميلا، وعرضها ستون ميلا.

في صحيح البخاري عن عبد الله بن قيس ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«إن في الجنة خيمة من لُؤْلُؤَة مُجَوَّفَة، عَرْضُها سِتُّون ميلا، في كُلِّ زاوية منها أَهْلٌ ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمنون». صحيح: صحيح البخاري رقم: **4879**

وجاء طول الخيمة في رواية مسلم:

«طولها ستون ميلا». صحيح: رواه مسلم في صحيحه عن عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه رقم: **2838**

والستون ميل تعادل: **96560** مترا، أي أن مساحة خيمة المؤمن في الجنة: **9323** مليون متر مربع تقريبا!

نعم .. أكثر من تسعة آلاف مليون متر مربع هي مساحة خيمة كل مؤمن في الجنة، فتصوَّرْ خيمة واسعة يحتاج فيها المرء إلى وسيلة انتقال للتنقل بين أرجائها، إلا أن يحملك الله فيها على ما شاء من خلقه، كما حدث مع عبد الرحمن بن ساعدة حين قال له رسول الله ﷺ:

«إن أدخلك الله الجنة يا عبدالرحمن، كان لك فيها فرس من ياقوت، له جناحان، تطير بك حيث شئت». صحيح الترغيب رقم : **3755**

أو لعلك ترى في الجنة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يطير بجناحين، فتطمع أن تكون مثله، فيجعل الله لك جناحين تطير بهما حيث تشاء.

أو لعل الله يجعلك تطير بلا جناحين، وبما لا تحيط به العقول!

فارق آخر هام:

المتر في هذه الخيمة ليس مترا عاديا كما في الدنيا، بل المتر الواحد –والأقل منه– أغلى من الدنيا وما فيها. قال النبي ﷺ:

«موضع سوط في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها».

صحيح: رواه البخاري عن سهل بن سعد الساعدي كما في صحيح البخاري رقم: **3250**

ويبلغ من اتساع الخيمة، أن الزوجة فيها لا ترى ما يصنع زوجها مع بقية أهله، ولعل سبب هذا تباعد المسافات بينهم، أو لمراعاة الخصوصية، فإنَّ المؤمن إذا لاطف أهله لم يحب أن يره أحد، ولا تحتاج في الجنة حين تلتقي بأهلك أن يكون هذا خلف جدار أو من وراء باب أو ستار، فقد ضمن الله لك ألا يرى بعضكم بعضا، وهذا من ألطف ألوان النعيم.

ورغم أن نساء المؤمن في الجنة لو رأوا بعضهم، لن يكون بينهم ما بين نساء الدنيا من الغيرة، ومع هذا فإن المؤمن يطوف على أهله، ولا يراه أحد.

وما أجمل قول ابن القيم:

للعبد فيها خيمةٌ من لؤلؤ..

قد جُوِّفَتْ هي صنعة الرحمن

ستون ميلا طولها في الجو في..

كل الزوايا أجمل النسوان

يغشى الجميعَ فلا يشاهد بعضهم..
بعضا وهذا لاتساع مكان

وخيمة المؤمن لها أبواب كثيرة، لكن ليس أي أبواب، بل كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه:

«الخيمة: لؤلؤة واحدة، لها سبعون بابا، كلُّها دُرٌّ».

## قصور محجوزة مسبقا!

أولها قصر لأحب الخلق إلى رسول الله ﷺ: خديجة رضي الله عنها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله: «هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشِّرها ببيتٍ في الجنة من قصَب، لا صخَب فيه، ولا نصب».

صحيح البخاري رقم: **3820**

وهذه بشارةٌ أرسلها رب العالمين من فوق سبع سماوات لأعظم نساء المؤمنين: خديجة رضي الله عنها، وكان موعد تسليم البشارة: حين كانت تنقل الطعام إلى رسول الله ﷺ وهو يتحنَّث في غار حراء، ونصُّ البشارة:

أن لها في الجنة بيتا خاصا خالصا من قصب، والقصَب: اللؤلؤ العظيم المجوَّف، والصَّخَب: الصوت المزعج والجلَبة، والنَّصَب: التعب، وكل هذا

منعدمٌ في الجنة، فما المعنى إذن لنفي الصخب والنصب عن بيت خديجة في الجنة، مع أنه منفي عن كل بيوت الجنة؟!

ذكر السهيلي أن أن النبي ﷺ لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعا، ولم تُحوِجْه في طاعتها له إلى رفع صوت ولا منازعة، بل أزالت عنه كل نصَب، وآنسته من كل وحشة، وهوَّنت عليه كل عسير، بل وكانت تُتْعِب نفسَها في خدمته غاية التعب، وعانت معه في سنوات الإيذاء، فكان جزاؤها من جنس عملها، وبشَّرَها ربنا بأنها ستستريح في الجنة من هذا كله، وستدخل قصرا من لؤلؤ لا مشقة فيه ولا تعب، ليكون نعيم بالصفة المقابلة لبذلها، جزاءً وفاقًا.

لكن:

ما السر في قوله: «من قصب»، ولم يقل من لؤلؤ؟

قالوا: لعل هذا لأن خديجة رضي الله عنها حازت قصَب السبق إلى الإيمان، فكانت أول من أسلم من النساء، بل أول من أسلم مطلقا على أحد الأقوال، فسابق القوم اليوم سابقهم غدا.

فإن قلت:

لم قال «ببيت»، ولم يقل بقصر، مع أن القصر من البيت أعلى وأشرف؟

قالوا بأنها كانت أول ربة بيت في الإسلام، فلم يكن على وجه الأرض في أوّل البعثة بيت إسلام إلا بيت خديجة، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها، والجزاء من جنس العمل.

والقصر الثاني صاحبه عمر بن الخطاب ﷺ.

عن أبي هريرة ﷺ قال:

بينا نحن عند رسول الله ﷺ، إذ قال:

«بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته، فولَّيْتُ مدبرا، فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله».

صحيح: صحيح البخاري رقم: **3242**

لكن .. هل في الجنة وضوء؟!

قيل: المراد بالوضوء هنا المعنى اللغوي: الوَضاءَة، ويكون وضوؤها سببا لزيادة حسنها وإشراق نورها، وليس المرادُ منه إزالة الأقذار، فإن الجنة منُزَّهَة عن كل هذا.

وحقَّ لعمر ﷺ أن يبكي سرورًا بعد سماع هذه البشارة، لما منحه الله أو شوقًا إلى لقاء الله.

ماذا داخل هذه القصور؟!

عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

«جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن». صحيح: صحيح البخاري رقم: **4878**

قيل: جنتا الذهب للسابقين المقربين، وجنتا الفضة لأصحاب اليمين.

ومقتضى الحديث أن جنتي الفضة لا ذهب فيهما، وجنتي الذهب لا فضة فيهما، وهذا بعكس حديث أبي هريرة ﷺ قلنا: يا رسول الله .. حدِّثنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: «لبنة من ذهب، ولبنة من فضة».

وأجيب عن هذا بأن لبنة الذهب، ولبنة الفضة هي صفة حوائط الجنة، وأما حديث أبي موسى، فهو يتحدث عما داخل الجنة من أثاث ومتاع وغيره.

## كيف تبني قصرا في الجنة؟!

### 1. بناء المساجد:

قال رسول الله ﷺ:

«من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة لبيضها، بنى الله له بيتًا في الجنة. صحيح: رواه أحمد عن ابن عباس كما في صحيح الجامع: 6129

قال الدميري: «القطا، طائر معروف، واحده قطاة، والجمع قطوات».

ومفحص القطاة هو المكان الذي تفحص القطاة عنه، لتضع فيه بيضها، وترقد عليه.

وهذه بشارة لكل من شارك في بناء مسجد كان له من الأجر على قدر مشاركته، فلو اشترك جماعة في بناء مسجد، لكان نصيب كل واحد منهم من الثواب بمقدار مشاركته.

وذهب بعض العُلَمَاءِ إِلى أنَّ الحديث على ظاهره، وأنَّ المراد بذلك ما لو اشترك جماعة في بناء مسجد، بحيث كان نصيب كُلِّ واحد منهم مَفْحَص قطاة، بنى الله لكل واحد منهم بيتًا في الجنة، وفضل الله واسعٌ.

2. قراءة سورة الإخلاص عشر مرات:

عن معاذ بن أنس الجهني عن النبي ﷺ قال:

«من قرأ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصرًا في الجنة». صحيح: السلسلة الصحيحة رقم: 589

ولما سمع عمر الحديث قال: «إذًا نُكثِر؟» أي نقول: عشرة من وراء عشرة من وراء عشرة كي تكثر قصورنا، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكثر وأفضل»، أو قال: «أطيب».

3. صلاة اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة من غير الفريضة:

وهذه هي السنن الرواتب، قال النبي ﷺ:

«ما من عبد مسلم يصلى لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة، تطوعا غير فريضة، إلا بنى الله له بيتا فى الجنة، أو إلا بُنِي له بيت فى الجنة».

صحيح: رواه مسلم في صحيحه عن رقم: **1729**.

ولعل هذا وعد خاص بمن واظب على هذه الركعات، و هو ظاهر ما ذهب إليه ابن أبي شيبة في مصنَّفِه حيث بوَّب عليه بقوله: (في ثواب من ثابر اثني عشرة ركعة من التطوع)، والنسائي في السنن الكبرى باب: (ثواب من ثابر على اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة). وهذه الرواتب اثنتا عشرة ركعة: أربع قبل الظهر، واثنتان بعدها، واثنتان بعد المغرب، واثنتان بعد العشاء، واثنتان قبل الفجر.

## صورة: كيف تحجز قصرا في الجنة

ما عنوان قصري؟!

كيف سيعرف كل واحد من أهل الجنة منزله من بين ما لا يحصى من بيوت أهل الجنة؟!

هل سيسألون عن عناوين قصورهم؟!

وهل يحتاجون إلى دليل؟!

والجواب: كلا. قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ **[محمد:6]**.

قال مجاهد: «يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم منها، لا يخطئونها كأنهم ساكنوها منذ خُلِقوا، لا يستدلون عليها أحدا».

وقال ابن عباس:

«هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم».

ضيق النار!

إن كانت راحة الجنة مقرونة بسعتها، فإن جحيم النار مقترن بضيقها، فيضيِّق الله على أهل النار أماكنهم، حتى تضيق عليهم نفوسهم، فإن الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة، لذا وُصِفَت الجنة بأن عرضها السموات والأرض.

ومع أن النار واسعة جدا، وقعرها –كما مرَّ بك– بعيد جدا، لكن مع ذلك تضيق على سكانها، ويزداد الضيق كلما ألقِي في النار فوج جديد، والنار مع كل هذا تنطق وتقول: هل من مزيد؟

لما قُرِئ على عمر بن عبد العزيز –وهو أمير المدينة– قول الله تعالى: (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا)، بكى عمر حتى غلبه البكاء، وعلا نشيجه، فقام من مجلسه، ودخل بيته، وتفرَّق الناس.

والتضييق على أهل النار حاصلٌ رغم ضخامة جثة الكافر التي جاء ذكرها في الحديث:

**«إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار، وإن ضرسه مثل أُحُد، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة». صحيح: رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: 2114**

**وفي حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:**

**«ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع».**

**صحيح: رواه الشيخان عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: 5591**

**تتضخم جثة الكافر لتصبح مثل سلاسل الجبال الضخمة؛ لتتذوق كل خلية من جسده ألم العذاب وضراوة النيران، فيكون أبلغ في الإيلام، مع ما يعانيه من ضيق المكان، والتقييد بالسلاسل والأغلال.**

والضيق يوحي به كذلك السجن الذي خصَّصه الله في جهنم للمتكبرين، وهو سجن بولس، كما جاء في الحديث:

**«يُحشَر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يُسقَوْن من عصارة أهل النار طينة الخبال».** حسن: رواه أحمد والترمذي عن ابن عمرو كما صحيح الجامع رقم: 8040

ولا تعارض بين حشر المتكبرين كأمثال الذر وضخامة أجساد الكافر في النار، فقد يكون ساعة الحشر في حجم الذر لكن تتضخم جثته حين يدخل النار.

وبولس مشتق من (الإبلاس) بمعنى: اليأس، ولعل هذا السجن سُمِّي به؛ ليأسِ داخلهِ من الخلاص.

وسميت (نار الأنيار) كأن هذه النار لفرط إحراقها وشدة حرها أشد من جميع أنواع نار جهنم.

**يا مسكين:**

**أبعد هذا التفصيل..تحتار؟!**

**بين سعة قصور الجنة، وضيق سجون النار؟!**

## سابعا: أشجار الجنة + أشجار النار (الزقوم)

**ما معنى الجنة بغير شجر؟!**

**لكنه ليس أي شجر، فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال:**

**«ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب».صحيح: رواه الترمذي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: 5647**

**وإليك ثلاثة أنواع من شجر الجنة كما جاء ذكرها في الأحاديث، وهي على سبيل المثال لا الحصر:**

**1- شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام :**

**هي شجرة هائلة، لا يعرف قدرها إلا من خلقها، وقد أوضح رسول الله ﷺ عظمة هذه الشجرة، فأخبر أن راكب الفرس المعدَّ للسباق يحتاج لمائة عام حتى يقطعها، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:**

**«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمَّر السريع في ظلها مائة عام، ما يقطعها». صحيح: رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: 2125**

**شجرة عجيبة لا يحيط بعظمتها عقل، ولا يعلم قدرها إلا من رآها، ولن نراها حتى ندخل الجنة.**

**بلغ هذا الحديث كعب الأحبار، فقال:**

**«صدق والذي أنزل الفرقان على لسان محمد، لو أن رجلا ركب حُقَّه أو جذعه (دابته)، ثم سار في أصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما، إن الله تعالى غرسها بيده، ونفخ فيها من روحه، وما في الجنة نهر إلا ويخرج من أصلها».**

**وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:**

**«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، واقرؤوا إن شئتم: (وظل ممدود) [الواقعة : 30]".**

**واستدِلَّ بهذا على سعة حدائقك في الجنة، فالشجرة الواحدة من أشجارها هذه صفتها.**

**وتأمل في سعة ممتلكاتك في الجنة بما لا يُعبَّر عنه إلا بقوله تعالى: {وإذا رأيت ثم رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا}.**

**وتسلَّ بسعة الآخرة يا كل من ضاقت به الدنيا.**

**والظل ممدود هو الذي لا ينحسر كظل الدنيا؛ فظل الدنيا يتقلص، أما ظل الجنة فدائم، لا ينحسر ولا يتقلص.**

**وهنا يبرز سؤال:**

**كيف يكون في الجنة ظل وليس فيها شمس؟!**

**والجواب:**

**المراد من قوله «ظلها»: كنفها وما تستره أغصانها.**

**وقيل: نعيمها، ومنه قولهم: عيش ظليل.**

**قال زكريا الأنصاري في (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن):**

**«الظل يكون من أشجار الجنة لأنها تظللهم من نور العرش، لئلا يُبهِر أبصارهم، فإنه أعظم من نور الشمس».**

**قال القرطبي:**

**«والمُحْوِج إلى هذا التأويل أن الظل في عُرْفِ أهل الدنيا ما يقي من حرَّ الشمس وأذاها، وليس في الجنة شمس ولا أذى».**

**2- سدرة المنتهى:**

**وهي الشجرة التي ذكرها الله تعالى في سورة النجم، وأخبر أن النبي ﷺ رأى جبريل على صورته الملائكية عندها، وهي شجرة عظيمة عند جنة المأوى، فوق السماء السابعة:**

**(ولقد رآها نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى) [النجم:13-16].**

**وسميت سدرة المنتهى، لأنه ينتهي إليها ما يعرج من الأرض، وينزل إليها ما ينزل من الله من الوحي وغيره.**

**أو لانتهاء علم الخلائق إليها.**

**أو لكونها فوق السماوات والأرض، فهي المنتهى في العلو والارتفاع.**

**أو لأنه لم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ.**

**وقد أخبر الله أن هذه الشجرة يغشاها ما يغشاها من الخيرات التي لا يحيط بها وصف، وذكروا في فائدة عدم تحديد الآية لما يغشى السدرة: الإبهام والتهويل، حتى ولو عُلِم بعضه عن طريق الأحاديث، فإن ما يغشاها أشياء كثيرة لا يمكن أن يحاط بها أو تُستَقْصى، فمنها مثلا:**

- **فراش من ذهب كما جاء في حديث ابن مسعود.**
- **ألوان قال عنها النبي ﷺ: «فغشيها ألوان لا يدري ما هي»، يعني لا يستطيع أن يصف هذه الألوان، لأن الجنة تحوي ألوانا جديدة لم يعرفها أهل الدنيا، ولن يعرفوها إلا في الجنة.**

**- أو غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، وفيه تشويق.**

**وقد وصف رسول الله ﷺ بعض أوصاف شجرة سدرة المنتهى، فقال:**

**«ثم ذُهِب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيَّرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها».**

**وقال مقاتل في محاولة لوصف جمالها الذي لا يوصَف:**

**«هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الألوان، لو أن ورقة وُضِعَت منها في الأرض لأضاءت لأهل الأرض».**

**وقال ابن دحيان في سبب اختيار سدرة المنتهى لرحلة المعراج:**

**«اختيرت السدرة دون غيرها؛ لأن فيها ثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة زكية، فكانت بمنزلة الإيمان الذي يجمع القول والعمل والنية، فالظل بمنزلة العمل، والطعم بمنزلة النية، والرائحة بمنزلة القول».**

**3- شجرة طوبى:**

**شجرة طوبى شجرة عظيمة تخرج منها ثياب أهل الجنة، فهي بمثابة مصنع ثياب أهل الجنة، فعن أبي سعيد الخدري ؓ أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال له: يا رسول الله .. طوبى لمن رآك وآمن بك؟ فقال: طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني. قال له رجل: وما طوبى؟ قال:**

**«شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها».**

**حسن: رواه أحمد وابن حبان غن أبي سعيد كما في صحيح الجامع الصغير رقم: 7370**

**وتخيَّل أنك كلما أردت ثوبا جديدا -مع أن ثياب الجنة لا تبلى- ذهبت إلى حديقة قصرك، فانتقيت منها ثوبا جديدا، تقطفه من شجرة من أشجارك الرائعة.**

**كيف أزيد غراسي في الجنة؟!**

**عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ مرَّ به وهو يغرس غرسا، فقال: «يا أبا هريرة .. ما الذي تغرس؟!» قلت: غراسا لي.**

**قال: «ألا أدلك على غراس خير لك من هذا؟».**

**قال: بلى يا رسول الله.**

**قال رسول الله ﷺ :**

**«تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، يُغرَس لك بكل كلمة منها شجرة في الجنة». صحيح: رواه ابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: 2613**

## صورة: ما معنى الجنة بغير شجر؟ وغراس الجنة بكثرة الذكر

**وهي بشارة خليل الرحمن التي نقلها لنا النبي عليه الصلاة والسلام، فقد روى الترمذي عن ابن مسعود ﷺ قال:**

**قال رسول الله ﷺ:**

**«لقيتُ إبراهيم ليلة أُسرِيَ بي، فقال: يا محمد .. أقرِئ أمتك أن الجنة أرض طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». حسن: رواه الترمذي عن ابن مسعود كما في صحيح الجامع رقم: 5152**

**وقيعان: جمع قاع، وهي الأرض المستوية التي لا غرس فيها ولا بناء، فالجنة كانت قيعانا، ثم أوجد الله فيها قصورها وأشجارها بحسب أعمال أصحابها، فمن كان عمله الصالح أكثر، يكون ملكه أكثر، ونعيمه في الجنة أكبر.**

**إن ذِكْرُ الله عزّ وجل والعمل للفوز بالجنة كان هو موضع النقاش الذي جرى بين أعظم نبيين على مدار التاريخ: خليل الرحمن، وخاتم الأنبياء، وهي وصية للأمة جمعاء من أبيها إبراهيم، أوصاهم بها بعد أن سلَّم عليهم، وجاءت وصيته بعد التحاقه بالرفيق الأعلى ومعاينة نعيم الجنة الأغلى، فأخبر بما رأى لا ما سمع، فكانت وصيته أغلى وأوقع!**

**أرض الجنة قيعان، والأذكار والأعمال الصالحة لها عمران، فبها تبنى القصور، وتُغرَس أشجار الجنان، فإذا تم الغراس وتكامل البنيان، انتقل إليها السكان.**

**وما أسهل الاستكثار من أشجار الجنة اليوم، فما أسهل قول اللسان! بل هو والله أسهل الأعمال! لكن وراءه أعظم الأجر والثواب! .**

**ولذا كانت وصية النبي ﷺ:**

**«لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله».**

**ولما سأله معاذ بن جبل: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال:**

**«أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله».**

**حسن: رواه البيهقي والطبراني عن معاذ كما في صحيح الجامع رقم: 165**

**فالمؤمنون موقنون بالأجر، لذا يستكثرون من الذكر، فلا يفارقهم حتى وهم يجودون بأنفسهم حتى نزول القبر. جاء في مسند أحمد بإسناد حسن: قال رسول الله ﷺ:**

**«المؤمن تخرج نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل». حسن: مسند أحمد رقم: 2475**

**وسر حمد العبد لربه عند موته أن الله أطلعه على منزلته فى الجنة، فيحمد الله عليها.**

**ومن غفل عن الأجر، انقطع عن الذكر، وكان هذا من علامات جهله غبائه، وقد وصفه بهذا الوصف رسول الله ﷺ، فقال:**

**«ما تستقِلُّ الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبَّح الله بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم». حسن: رواه ابن السني عن عمرو بن عبسة كما في صحيح الجامع رقم: 5599**

فغبي كل الغباوة من انقطع عن ذكر الله رغم غنائمه الغالية وأرباحه المغرية، فكل شيء عند ارتفاع شمس النهار يسبِّح الله إلا ما كان من شيطان مريد أو عبد عنيد، وتأمل في الحديث:

كيف كان غياب الذكر سببا لاقتران العبد بالشيطان، وكأن قيد الشيطان لا يوضع في يد العبد إلا ببعده عن ذكر ربه.

**شجر النار:**

شجرة الزقوم هي شجرة جهنم الأشهر، وهي شجرة فظيعة المنظر، كريهة الطعم والرائحة، غُذِّيَتْ بالنار، وخُلِقَت من نار، وتحيا بالنار كما تحيا الأشجار ببرد الماء، فلا تحترق كسائر أشجار الدنيا بالنار، ويُجبَر على تناولها أهل النار.

قال الله تعالى عنها في سورة الصافات:

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (66) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (67) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (68)﴾[الصافات: 64-68].

وتشبيه طلع شجرة الزقوم أي ثمارها بالشيطان؛ لقبح منظرها، ورعب كل من ينظر إليها، ومع أنه لم ير أحدٌ الشيطانَ حتى يخاف منه، لكن كفى بصورته المجهولة رعبا، فصورة الشيطان أقبح الصور في عُرْف الناس، ويُعلَم بهذا أن العذاب بشجرة الزقوم نوعان:

- نفسي معنوي: بالقبح والخوف والرعب.
- ومادي: بطعمها المُرِّ ورائحتها الخبيثة، وغليانها في البطون بعد أكلها كغلي الحميم، ولها من الآثار ما لا يعلمه إلا الله. قال أبو عمران الجوني: «بلغنَا أن ابْن آدم لَا ينهش مِنْهَا نهشه إِلَّا نهشت مِنْهُ مثلهَا».

لكن رسول الله ﷺ عرض لنا بعض عذابها المادي، فقال ﷺ:

«لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟!». صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم كما في صحيح الجامع رقم: **5250**

## صورة: قطرة من شجرة الزقوم تفسد كل صور

تخيَّل!

قطرة واحدة من هذه الشجرة كفيلة بأن تفسد كل صور الحياة على وجه الأرض، فلا ينتفع الناس بمياه البحار والأنهار بعد ما أفسدتها قطرة الزقوم، ويتعفن الهواء وتتغير الأجواء بأثر هذه القطرة الخبيثة، وتفسد الأطعمة والأشربة بمرارة قطرة واحدة، فلا يطيق أحد من الناس أكلها.

فكيف بمن كانت هذه الشجرة طعامه الدائم والمستمر؟!

**يُلقَى الجوع على أهل النار، فيستغيثون منه، فيغاثون بشجرة الزقوم، ليكون حالهم: كالمستنجير من الرمضاء بالنار.**

**﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾:**

**ومما يضاعف عذاب أهل النار بشجرة الزقوم: أكلهم المستمر منها حتى تمتلئ بطونهم، لغلبة الجوع المسيطر عليهم، أو لأن ملائكة العذاب يجبرون أهل النار على الأكل منها؛ فيكون هذا عذابا فوق العذاب.**

**فإذا امتلأت بطونهم منها وغلَبَهم العطش، طلبوا السُّقيا، واستغاثوا طلبا للماء، وطال انتظارهم هناك، كما تنبىء به كلمة (ثم) التي تفيد التراخي الزماني، فيقدَّم الشراب إليهم –بعد طول انتظار– حميما غاية في الحرارة، يقطِّع الأمعاء والأوصال، ثم ماذا؟!**

**﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾**

**وفي هذا إشارةٌ إلى إن الزقوم والحميم يقدَّم إلى أهل النار قبل دخولها، فتسوقهم ملائكة العذاب عن منازلهم في الجحيم إلى شجر الزقوم والحميم، فيأكلون منها إلى أن تمتلئ بطونهم، ثم يُسقَون من الحميم، ثم يُرَدّون إلى منازلهم في جهنم، أو المقصود أن طبيعة عذابهم تتضمن التردد بين منازلهم النارية وبين شجر الزقوم، ذهابا وإيابا، كما في سورة الرحمن: (يطوفون بينها وبين حميم آن).**

**لكن .. ما فائدة التأمل في شجرة الزقوم وغيرها من أطعمة أهل النار؟!**

الفائدة: إذا انشغلت النفس بالتفكر في لذائذ الدنيا المحرمة، وقضاء الشهوات من غير الحلال، وقبل أن يستزلك الشيطان ويجعلك عبدا لشهوتك وأسيرا عند هواك، تأتي هذه الأحاديث لتخاطبك:

إذا كنتَ لا تصبر اليوم على مقاساة أقل القليل من عذاب السعير، بل تعجز عن الصبر على أدنى آلام الدنيا كوجع الضرس أو صداع الرأس، فكيف تصبر غدا على الأكل من شجرة النار؟!

فيردعك هذا الترهيب، ويحول بينك وبين السقوط في فخاخ الشيطان وهاوية العصيان.

يا مسكين:

أبعد هذا التفصيل..تحتار؟!

بين أشجار طوبى الجنة، وأشجار الزقوم في النار؟!

ثامنا: ثياب أهل الجنة وثياب أهل النار

من أين تخرج ثياب أهل الجنة؟!

هناك طريقتان لصناعة ملابس أهل الجنة:

الطريقة الأولى: ما مرَّ بك من شجرة طوبى التي تخرج ثياب أهل الجنة من أكمامها.

الطريقة الثانية: تفتق ثمار الجنة عن هذه الثياب، كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما:

**جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! أخبرنا عن ثياب أهل الجنة خلقا تخلق أم نسجا تُنسَج؟ فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون؟! من جاهل يسأل عالما؟» ثم أكبَّ رسول الله ﷺ، ثم قال: «أين السائل؟».**

**قال: هو ذا أنا يا رسول الله!**

**قال: «لا بل تشقق عنها ثمر الجنة (ثلاث مرات)».**

**صحيح: مسند أحمد رقم: 7095**

**وقد ذكر ابن أبي الدنيا أن ابن عباس -رضي الله عنهما- سئل عن حُلَلِ الجنة، فقال:**

**«فيها شجر فيه ثمر كأنه الرمان، فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها، فانفلقت عن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان، ثم تنطبق وترجع كما كانت».**

## ثيابٌ لا تبلى:

قال رسول الله ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم فيها لا يبأس، لاَ تَبْلَى ثيابُه، ولا يفنى شَبابُه».

صحيح: رواه مسلم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: 6608

نفى النبي ﷺ عن أهل الجنة جميع المضرات الروحية والنفسية، فنفى عنهم البؤس، لأن الإنسان في الدنيا قد يتنعَّم فترة قبل أن يصيبه البؤس، فنفى كل ما ينال من نعيم أهل الجنة.

هذا عن الباطن، وأما عن الظاهر، فثيابهم التي يرتدونها لا تبلى مهما طالت إقامتهم في الجنة ودام ارتداؤهم لها، تظل جديدة كأن لم تُلبَس من قبل.

## لين الثياب:

روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال:

أُهْدِيَتْ للنبي ﷺ حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال رسول الله ﷺ:

«أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ خير منها، أو ألين». صحيح: صحيح البخاري رقم: 3802

وتخيَّل أن مجرد المناديل التي يمسح بها وجهه ويديه أفضل من كل هدايا الملوك وكنوزهم.

هذه وصية نبوية نهديها لمن انبهر بمشاهد القصور الفاخرة، وخطفت بصره المراكب الفارهة، والتوى عنقه لمتابعة ثياب أهل الثراء الناعمة:

ألا تغتر بهذا النعيم الزائل، وتذكَّر دائما ما في الجنة من مناديل سعد بن معاذ، وتأمَّل -كلما نسيتَ- روعة نعيمها الأخّاذ.

## مم صُنِعَت هذه الثياب؟

أخبر سبحانه وتعالى عن نوعية هذه الثياب فقال: (ولباسهم فيها حرير)، وهذا الحرير نوعان: (يلبسون من سندس و إستبرق).

فالسندس ما رقَّ من الحرير، والإستبرق ما غلُظ منه.

ولأن السندس هو رقيق الديباج، فهو شفاف ترى من ورائه لون البشرة، ليضاعِف هذا من جمال أهل الجنة، وهو سندس أخضر، والأخضر أحسن الألوان، وكان شعار الملوك، وهو أمتع للعين، فكان السندس الحريري ألين الثياب للجلد، ولونه أفضل الألوان للعين.

وأما الإستبرق فهو الحرير الغليظ السميك الذي يستر جمال البشرة، فيزيده استتارا وفتنة، والنفس تتشوق دائما إلى ما أُخفِي عنها من الجمال أكثر مما ظهر منه.

والمعنى: أن فوقهم ثيابا من الصنفين، يلبسون هذا وذاك، جمعا بين محاسن النوعين، وهي أفخر لباس الملوك وأهل الثراء.

ومن ثياب نساء الجنة: الخمار، لقول النبي ﷺ:

«ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» رواه البخاري رقم: 2796

هذا قدر الخمار، فما قدر صاحبة الخمار؟!

وتخيل! كيف أن قطعة قماش واحدة من الجنة أغلى من كل نعيم الدنيا.

## ثياب أهل النار!

وهي نوعان:

## النوعِ الأول: القطران

أما القطران، فكان العرب يطلون به مواضع الجرَب في الإبل كدواء، لكنه يوم القيامة يكون من أشد ألوان الداء وأسباب العذاب. قال إسماعيل حقي:

«يُطلَى به جلود أهل النار، يعود طلاؤه لهم كالسرابيل، ليجتمع عليهم الألوان الأربعة من العذاب:

لذع القطران وحرقته

وإسراع النار في جلودهم

واللون الموحش

ونتن الريح».

على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين، فقد ورد: (ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم)، وقِسْ عليها القطران.

وقد ورد التعذيب به للنائحة كما في الحديث:

«النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سِربالٌ مِنْ قَطِران، ودِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».

صحيح: رواه أحمد ومسلم عن أبي مالك الأشعري كما في صحيح الجامع رقم: 6792

والسربال هو القميص، وهو هنا قميص منسوج من قَطِران، ترتديه -كعذاب لها- المرأة النائحة يوم القيامة ، وفوق هذا يُسلَّط على أعضائها الجرب والحكَّة، بحيث يغطي الجرب جميع جسدها تغطية الدرع للجسد، والدرع في اللغة: قميص النساء.

فجمع الله على النائحة بين عذاب القطران وحرارته وحرقته ونتنه وسواده واشتعاله، وعذاب الجرب الذي يمزِّق الجلد ويقطع اللحم؛ كما تجمع المرأة بين القميص والدرع.

وذكروا في الحكمة من تخصيص النائحة بدرع الجرب وجهين:

أحدهما: أن النائحة كانت تخمش وجهها وتلطمه، فابتُلِيت بالجرب الذي لا صبر لها عليه إلا بالخمش والتمزيق.

والثاني: أنها كانت تجرح بكلماتها قلوب الحاضرين، فعوقبت على ذلك بما يماثله في الصورة، جزاءا وفاقا، والجزاء من جنس العمل.

لكن هل تشمل النياحة البكاء حزنا على فراق الميت؟! وما الفارق بينهما؟!

والجواب:

البكاء معروف، وهو دمع العين.

وأما النياحة، فالمقصود بها ندب الميت، وتعديد محاسنه، أو الرنة وهي النغمة المعروفة للنساء في حالة الندب أو الصراخ، ونحو ذلك من أفعال النائحات المعروفة.

## النوع الثاني: ثياب النار

(فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ)

كان إبراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية يقول:

«سبحان من خلق من النار ثيابا».

والمعنى أن النيران تحيط بهم إحاطة الثياب، أو أن الله جعل لهم ثيابا نارية مفصَّلة على قدِّهم، ليعمهم العذاب من كل جانب، فلا ينجو عضو من النار، ولا خلية من خلايا الجسد من العذاب. قال وهب بن منبِّه: «كُسِي أهل النار، والعري كان خيرا لهم، وأُعطوا الحياة، والموت كان خيرا لهم».

ولأن الثياب تشمل جميع الجسد غير الرأس، أفرد الله الرؤوس بالذكر بقوله: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾

وهذا عام لكل أهل النار، لكن ورد أن ثيابا خاصة لبعض أصحاب الذنوب، فقد خرَّج أبو داود وغيرُه من حديثِ المستوردِ عن النبيِّ ﷺ قال:

«من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم.

ومن اكتسى برجل مسلم ثوبا، فإن الله يكسوه مثله من جهنم.

ومن قام برجل مسلم مقام سمعة ورياء، فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة».

صحيح: رواه أحمد وأبوداود والحاكم عن المستورد بن شداد كما في صحيح الجامع رقم: 6083

وإليكم أمثلة عملية حياتية لأصحاب هذا الحديث:

رجل غشَّ مسلما في البيع والشراء، فأكل ماله بالحرام.

رجل غصب مال مسلم بغير وجه حق.

رجل كسب مالا بسبب غيبته أو قذفه أو وقوعه في عرض أحد.

رجل عمل عملا أخذ عليه راتبا: لتعرضه لمسلم بالأذى والضرر.

رجل ذمَّ رجلا عند عند شخص يعجبه النيل منه؛ ليطعمه شيئا أو ينال منه رزقا.

كل هؤلاء يعاقبهم الله تعالى بأن يأكلوا في النار مثل الأكلة التي أكلوها، ويلبسوا مثل اللباس الذي ارتدوه، لكن الطعام من نار، والثياب نارية!

يا مسكين:

أبعد هذا التفصيل..تختار؟!

بين لين ثياب أهل الجنة، وحرارة ثياب أهل النار؟!

## تاسعا: طيور الجنة

في الجنة من الطيور ما لا يعلمه إلا الله تعالى، قال تعالى في بعض طعام أهل الجنة: (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) [الواقعة : 21].

قال ابن عباس شارحا ومشوِّقا:

«يخطر على قلبه الطير، فيصير ممثَّلًا بين يديه على ما اشتهى».

قال الخازن:

«فإن قلت: هل في تخصيص الفاكهة بالتخير، واللحم بالاشتهاء بلاغة؟.

قلت:

نعم، وكيف لا؟ وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة، والذي يظهر فيه أن اللحم والفاكهة إذا حضرا عند الجائع تميل نفسه إلى اللحم، وإذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه إلى الفاكهة، فالجائع مُشْتَهٍ، والشبعان غير مُشْتَهٍ، بل هو مختار، وأهل الجنة إنما يأكلون لا من جوع بل للتفكه، فميلهم إلى الفاكهة أكثر فيتخيرونها، ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم، وإذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه، فتميل نفسه إليه أدنى ميل، ولهذا قدَّم الفاكهة على اللحم، والله أعلم».

أي أنهم لما أكلوا من اللحم ما يشتهون أكَّد ذلك عدم الجوع والألم، وأن أهل الجنة إنما يأكلون تلذذا وتمتعا، كما ذكر ربنا: (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ).

ومن طيور الجنة ما أخبر عنه النبي ﷺ:

«الكوثر نهر أعطانيه الله في الجنة، ترابه مسك، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترِده طائر أعناقها مثل أعناق الجزُر، آكِلُها أنعم منها». صحيح: رواه الحاكم عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: 4614

والجُزُر جمع جزور، و(آكلها) أي أن أهل الجنة (أنعم منها): أشد نعمة منها.

ولذا لما قال النبي ﷺ:

«إن طير الجنة كأمثال البُخْت ترعى في شجر الجنة».

والبُخْت نوع من الإبل.

قال أبو بكر: يا رسول الله .. إن هذه الطير ناعمة، فقال: «أكَلَتها أنعم منها -قالها ثلاثا-، وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها يا أبا بكر».

صحيح: رواه أحمد والترمذي عن أبي بكر كما في صحيح الجامع رقم: 4614

طعام أهل النار:

معلومٌ أن مقصود تناول الطعام في الدنيا أحد أمرين:

أن يسد جوع صاحبه، أو يُسْمِن بدنه من الهزال، وطعام أهل النار ليس فيه هذا ولا ذاك، فهو طعام كريه، لا يسد جوعا ولا يُسْمِن بدنا.

{لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٌ لاَ يسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوع} . [الْغَاشِيَةِ-6-7].

ومن سمات طعام أهل النار أنه ذو غُصَّة: (وطعاما ذا غُصَّة).

أي يغصُّ به آكله، فلا هو نازل عن حلقه، ولا هو خارج منه، وذكر ابن عباس أنه شوك يأخذ الحلق، فلا يدخل ولا يخرج.

أُتِي عبد الرحمن بن عوف بعشائه، وهو صائم، فقرأ:

{إن لدينا أنكالا وجحيما * وطعاما ذا غصة وعذابا أليما} .

فلم يزل يبكي، حتى رفع طعامه، وما تعشَّى، وإنه لصائم.

وإذا كان عبد الرحمن بن عوف -المبشَّر بالجنة- يتذكر طعام أهل النار، فكيف بمن انهمك في أطعمته التي اكتسبها من حرام؟!

يا مسكين:

أبعد هذا التفصيل..تحتار؟!

بين لذة طعام الجنة، وضراوة جوع أهل النار؟!

## عاشرا: أساور أهل الجنة وأغلال أهل النار!

كما ترى بعض الشباب اليوم يلبسون ما يُسمَّى (الأنسيال)، فكذلك يرتدي أهل الجنة أساور الذهب والفضة للزينة والتأنق، ففي حديث سعد بن أبي وقاص ﵁ عن النبي ﷺ قال:

«لو أَنَّ رجُلاً مِنْ أهل الجنة اطَّلع فبدا أساوِره، لطَمَس ضوء الشمس كما تطمِس الشَّمسُ ضوء النُّجوم».

صحيح: رواه أحمد والترمذي عن سعد كما في صحيح الجامع رقم: 5251

لكن من سيحلِّيهم بهذه الأساور التي قال الله فيها: (يحلون فيها من أساور من ذهب).

هل هم الخدم؟

أم الملائكة؟!

أم الله رب العالمين؟!

قال سعيد بن جبير في أنواع هذه الأساور:

«على كل واحد منهم ثلاثة أسورة: واحد من ذهب، وواحد من ورق، وواحد من لؤلؤ».

ويجمعون بين التحلي بالثلاثة لتجتمع لهم محاسن الجنة.

وقيل: حُلِيُّ الرجل الفضة، وحُلِيُّ المرأة الذهب.

أو يتقلبون بين هذه وتلك، فتارة يلبسون الذهب، وتارة يلبسون الفضة.

وقيل: لكل قوم ما تميل إليه نفوسهم.

وقيل: يختلف ذلك باختلاف الأعمال، فبعضهم يُحلّى بالفضة، وبعضهم بالذهب، وبعضهم باللؤلؤ.

وعلى أي هذه الأقوال، فهو نعيم عظيم لا يخطر ببال.

وقال كعب الأحبار:

«إن في الجنة مَلَكًا لو شئتُ أن أسميه لسمَّيتُه، يصوغ لأهل الجنة الحُلِيَّ منذ خلقه الله إلى يوم القيامة، لو أُبْرِزَ قلبٌ منها –أي: سوار منها–لردَّ شعاع الشمس، كما تَرُدُّ الشمس نور القمر».

## كيف تشتري الحُلِيَّ في الجنة؟!

قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه:

«تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء». صحيح الجامع رقم: 2911

فإذا أسبَغْتَ وضوءك، وكذلك الأنثى إذا أسبغت وضوءها، فإن الجواهر ستبلغ ما يبلغ الوضوء من المؤمن، فمن أسبغ وضوءه، وبالغ في إيصال الماء لما فوق مرفقي الذراعين وكعبي الرجلين، فإن الحلية ستصل إلى ما وصل إليه ماء الوضوء.

## صورة: إسباغ الوضوء سبب زيادة حلي العبد في الجنة

## أغلال أهل النار:

قال تعالى عن رجل من أهل النار:

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32)

والأغلال: جمع غُلٍّ، والغُلُّ: هو القيد الذي تربط به اليدان إلى رقبة الإنسان، فكذلك يصنع بهؤلاء، ثم يسلسل الشقي في سلسلة طولها سبعون ذراعا!!

وهل بقي لهذا الشقي قوة حتى يقاوم ملائكة العذاب؟!

وهل يستطيع الفرار حتى يُقيِّدوه؟!

إنه لا يقوى على الحركة، فكيف يفرّ؟

وإن فرَّ، فإلى أين؟ وأبواب النار عليه مؤصدة.

إنما وظيفة القيود والأغلال: إذلال صاحبها، ومعاملته معاملة الدابة الذي تقاد من لجامها إلى موضع ذبحها.

لكن، لماذا كان طول السلسلة سبعين ذراعا؟.

المراد بالسبعين حقيقة هذا المقدار في الطول، أو لعل هذا العدد كناية عن عظيم طولها، لأن العرب تستعمل رقم السبعين للتكثير، لأن السلسلة إذا طالت كان الإرهاق والعذاب أشد.

ومعنى ﴿فاسْلُكوه﴾: أي اجعلوه مغلولا في هذه السلسلة، بحيث تحيط به إحاطة تامة، وثُمَّ في كل آية تفيد التراخي في الرُّتبة، لا التراخي في الزمن، لأن كل عقوبة أشد من سابقتها، فإدخاله في السلسلة الطويلة أعظم من إلقائه في الجحيم، كما أن إلقاءه في الجحيم أشد من أخذه وتقييده بالأغلال، ففائدة ﴿ثُمَّ﴾ الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم، وما بينها وبين السلك في السلسلة.

وأغلال النار وسلاسلها موجودة ومجهَّزة من الآن لأصحابها، ومسجلة بأسمائهم. قال الحسن البصري:

«ما في جهنم واد ولا غار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبها مكتوب عليه».

كان أبو الدرداء ﷺ يحضُّ امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين قائلا وكان يقول:

«خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر؟!».

يشير بهذا إلى قول الله تعالى عن صاحب الأغلال في النار:

(إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34)

يا مسكين:

أبعد هذا التفصيل..تحتار؟!

بين أساور أهل الجنة، وأغلال أهل النار؟!

## الحادي عشر: وجوه أهل الجنة ووجوه أهل النار

قال الله عن أهل الجنة:

{تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ} [المطففين: 24]

تستطيع التعرف على أهل الجنة بمجرد أول نظرة إليهم، فإذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعيم، مما ترى من حُسْنهم الباهر والنور الذي يفيض من وجوههم.

قال عطاء: «وذلك أن الله تعالى زاد في جمالهم، وفي ألوانهم، ما لا يصفه واصف».

والنضرة في الوجه سببها السرور الذي في القلب، كما ترى في وجوه أهل الثراء أثر الترف والنعمة، بما يدلك على ما هم فيه من النعيم العظيم.

واختير: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِم﴾ بدلا من ﴿ترى على وجوههم﴾ مع أن المعرفة تتعلق بالأمور الخفية، والرؤية تتعلق بالأمور الواضحة الجلية؛ لأن ما تفيده المعرفة أعمُّ وأتمُّ مما تفيده الرؤية؛ فإن نعيم الجنة من عظمته يكون مشاهدا ومحسوسا ومعقولا، ولا عجب في ذلك، فهو أعظم نعيم على الإطلاق. قال الزجاج: «نضِرَتْ بنعيم الجنة».

وقال الحسن البصري عن نعيم الجنة الذي أدى لهذه النضرة في الوجوه:

«تنظر إلى الخالق وحقَّ لها أن تنضر، وهي تنظر إلى الخالق».

وقال آخرون عن سبب النضارة:

«تعرف في وجوههم رضا محبوبهم عنهم».

وخصَّ الوجوه بالذِّكر مع أن النضرة تشمل سائر البدن؛ لأن نظرك إلى غيرك يبدأ بتفحص وجهه، ولأن السرور إذا عظم في القلب أثَّر في جمال الوجه، فيكون في ذكر نضرة الوجه إخبار عن غاية ما عليه أهل الجنة من النعيم والسرور.

وما خفي من نعيمهم كان أعظم، وأكبر، وأغلى، وأروع!

## وجوه أهل النار

أكرم ما في الإنسان وجهه، ولذا نهانا رسول الله ﷺ عن ضرب الوجه، وجعل الله من إهانة أهل النار أن يحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكماً وصما (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصما) [ الإسراء:97]، ويلقون في النار على وجوههم (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار) [ النمل:90].

وتلفح وجوههم النار وتغشاها، فلا يجدون حائلا يحول بينهم وبينها (تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ) [المؤمنون:104].

تشدُّ أيديهم بالأغلال إلى أعناقهم، فكلما جاءهم نوع من العذاب، اتقوه بوجوههم، ولا يقدرون على اتقاء النار بأيديهم ولا بغير أيديهم.

(أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ) [الزمر:24]

وانظر إلى هذا المنظر الذي تقشعر لهوله الأبدان:

(يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) [ الأحزاب: 66]

أرأيت كيف يقلَّب اللحم على النار؟! والسمك في المقلاة؟! فكذلك تقلَّب وجوه أهل النار في النار وهم أحياء، ومن الذي يقلِّبها؟!

إنها ملائكة العذاب، تقلِّب وجوههم في النار رغما عنهم، أو يجعل الله تقلب وجوههم ذاتيا لتصل النار إلى جميع أجزاء الوجه، ولو كان لفح النار مقتصرا على أحد جانبي الوجه، لكان للجانب الآخر بعض الراحة.

وخُصَّت الوجوه بالذكر، لأن الوجه أكرم ما في جسد العبد، ولأن حرَّ النار يؤذي الوجوه أشد مما يؤذي بقية الجسد؛ لأن الوجوه موضع الحواس الرقيقة: العيون والأفواه والآذان والأنوف.

## صورة: أي الوجهين تختار؟

## رسالة لأصحاب الثراء!

دخل الفضيل بن عياض على هارون الرشيد يوما، فرأى ما حوله من نعيم وأُبَّهة، فأراد أن ينبِّهه من غفلته، ويوقظه من سكرة قوته، فقال له ناصحا:

«يا حسن الوجه..

إن قدرتَ أن لا تلفح وجهك النار فتسوِّده فافعل، فوالله لقد قُلِّدتَ أمرا عظيما»، فبكى هارون.

وما أصدق لهجة الأنبياء، وما أخوفهم على أتباعهم، وما أشفقهم على من آمنوا بهم، لذا حذَّر عيسى عليه السلام:

«كم من جسم صحيح، ووجه صبيح، ولسان فصيح، غدا بين أطباق النار يصيح».

يا مسكين:

أبعد هذا التفصيل..تحتار؟!

بين نضارة وجوه أهل الجنة، وشواء وجوه أهل النار؟!

## ثاني عشر: الخلود: الجنة والنار

قال رسول الله ﷺ:

**«يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال: يا أهل الجنة! فيطَّلِعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقال:**

**يا أهل النار! فيطَّلِعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال:**

**هل تعرفون هذا؟**

**فيقولون: نعم .. هذا الموت، فيؤمر به فيُذْبَح على الصراط، ثم يقال للفريقين كلاهما:**

**خلودٌ في ما تجدون، لا موت فيها أبدا»**.

صحيح: رواه أحمد وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: 7999

وهنا الفرحة الأبدية لهؤلاء المنعَّمين، والحسرة السرمدية على أولئك المعَذَّبين.

ولولا أن الله خلق لأهل الآخرة قلوبا غير القلوب، لمات أهل الجنة فرحا، ومات أهل النار ترحا.

لكن الله يبعثهم خلقا آخر، ليتحمل أهل الجنة روعة المفاجآت، ويتحمل أهل النار قسوة الآلام.

وينظر ويتذكر المؤمن إلى الخلود دائما حين تمر به نعمة أو نقمة، لذة أو شدة، فما قيمة الدنيا مهما عظم نعيمها إذا كانت إلى زوال؟! وما قيمة شقائها مهما كان طاغيا إذا كان فانيا؟!

أخي ..

أين لذة الأمس؟!

رحلت.

وما مصير لذة اليوم؟!

سترحل.

وباقي دنياك على القياس!

الدنيا خيال، والجنة هي الحقيقة والأساس.

أخي ..

ما قولك في عقل رجل مريض أشار عليه الطبيب بمجهود ثلاثة أيام ليهنأ طيلة عمره على الدوام؟

أيؤثر لذة أيام على نعيم الأبد؟

نعيم الجنة أبد، والدنيا في الآخرة أقل من ثلاثة أيام، بل أحقر من ذلك بكثير.

أحمقٌ من اشترى لذة ساعة بعذاب سنين!!

فوالله ما تساوي لذة سنة في الحرام غم ساعة في النار، فكيف إذا كانت اللذة ساعة والعذاب أبد؟!

## الخلود في الجنة:

لقد قال رسول الله ﷺ عن أهل الجنة:

«**لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**».

وهذا تعريضٌ بالدنيا الفانية، فما عيبت الدنيا بشيء أكثر من فنائها وسرعة زوالها حتى صدق فيها قول الحسن:

أحلام نوم أو كظل زائل...

إن اللبيب بمثلها لا يُخْدَعُ

إن العيش عيش الآخرة.

روَوا أن ملكا من الملوك بنى قصرا، وقال: انظروا من عاب منه شيئا فأعطوه درهمين، وكان في من أتاهم رجل، فقال:

«في هذا القصر عيبان اثنان».

قالوا: وما هما؟

قال: «يموت الملك، ويخرب القصر».

وصدق الذي قال:

لا طيبَ للعيش ما دامت مُنغَّصةً ... لذَّاتُه بادِّكار الموت والـهَرَمِ

لذا كان كل من باع الخلود بالفاني أحمق، وكل من ضحَّى بآخرته من أجل دنياه، فما فهم التكليف، ولا فهم طبيعة هذا الدين الحنيف.

## الخلود في النار:

مَرَّ عمر بن الخطاب ﷺ بكثيب من رمل فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟

قال:

«ذكَرتُ أهلَ النار، فلو كانوا مخلَّدين في النار بعدد هذا الرمل، كان لهم أمد يمدُّون إليه أعناقهم، ولكنه الخلود أبدا».

والمراد بالخلود طول المكث، والعرب تطلق اسم الخلود على المكث الطويل، ولذلك كانوا يسمون أولادهم خالدا، تفاؤلاً بطول العمر ودوام الذكر ، وليس معنى الخلود عدم الانقطاع، وإنما هذا يُمَيَّزُ بالأبدية؛ ولو أريد الخلود الأبدي للمسلم العاصي في النار –وهذا لا يكون– لجيء بلفظ ( أبدا )، لبيان أنه لا خروج من النار أبد الدهر.

والخلود في القرآن نوعان: خلود أبدي، وخلود أمدي.

فالخلود الأبدي في النار هو عقوبة الكفار، والخلود الأمَدي إلى حين لعصاة المؤمنين.